جامعة العربي التبسي - تبسة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية الآداب و اللغات
قسم: اللغة و الأدب العربي

UNIVERSITY LARBI TEBESSI – TEBESSA
UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA-

الأنساق المضمرة في الرواية السير_ ذاتية "مذكرات امرأة شيعية" لرجاء نعمة_ أنموذجا_

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر(ل م د) في الأدب العربي تخصص : نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
أميرة شابي
جويدة نصر الشريف

إشراف الدكتورة:
آمال كبير

الأستاذ	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
شريفة قادري	أستاذ مساعد (أ)	العربي التبسي	رئيسا
آمال كبير	أستاذ محاضر(أ)	العربي التبسي	مشرفا ومقررا
مسيكة ذيب	أستاذ محاضر (ب)	العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين، الذي من علينا بنعمه فألهمنا روح الصبر والمثابرة لنتم هذا العمل، وما كان ليتم إلا بفضله وسداده، نشكره شكرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وبعدما أنهينا هذا البحث بعونه وتوفيقه ،لا يسعنا ولا يطيب لنا إلا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير إلى أستاذتنا المشرفة: الدكتورة. آمال كبير، التي لم تبخل علينا بأي نوع من المساعدة، من مراجع و نصائح وملاحظات.

فما كان لمذكرتنا لتخرج إلى النور لولا التوجيه السديد والإرشاد والرعاية الفائقة التي شملتنا بها أستاذتنا، فقد كان لملاحظاتها القيمة والنيرة أثر كبير في إيصال هذا العمل لما هو عليه الآن، وقيل: من علمني حرفا ملكني عبدا.

كما نشكر كل من ساندنا في إنجاز هذه المذكرة، ونرجو من المولى القدير أن نكون من العارفين للناس فضله.

مقدمة

مقدمة :

لقد عرفت العلوم اليوم تغييرا كليا في جميع الأصعدة العلمية، والأدبية والفكرية كذلك، حيث نشأ جدل واسع في الأوساط الثقافية العربية حول مناهج قراءة الأدب، حيث ظهرت العديد من هذه المناهج التي تسعى الى دراسة و تحليل النصوص الأدبية على اختلافها، مثل النقد الثقافي الذي ينفتح على التأويل، السيمائيات، تحليل الخطاب، فالأدب في الدراسات الحديثة ارتبط بحركات فكرية مختلفة، كالحركة النسوية أو صراع الحضارات و الثقافات، وما تشمله هذه التحولات من أنساق مضمرة في النص فالنقد الثقافي من أهم مناهج التحليل الذي يركز على دراسة تحولات الأنساق الثقافية في الخطاب

وتعد الأنساق الثقافية من أهم الأسس التي ارتكز عليها النقد الثقافي و ينبني في دواخله على هذه الأنساق، فالنص الابداعي ينشأ عموما من أنساق ثقافية وتاريخية ودينية ،هذه الأنساق تجيد مهارة الضمور والاختباء وراء عباءة هذه النصوص فترسم بذلك بنية جمالية من خلال ذلك التفاعل.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار النقد الثقافي مشروعا في نقد الأنساق، والنقد هنا يكون على ارتباط بما هو مضمر، فهناك أنساق مضمرة وهناك أنساق ظاهرة، تلك الأنساق الظاهرة تتحايل على النسق المسكوت عنه، فيقوم النقد الثقافي هنا من خلال فعاليته في دراسة النصوص بالحفر وهنا والتنقيب والتفكيك. لاستنباط هذه الأنساق. فتحيل هذه الأنساق المضمرة الى الكشف عن المخزون الثقافي والتاريخي الذي احتواه النص، فمن النص يكمن في الأنساق المتوارية خلف اللغة .

وتعتبر رواية مذكرات امرأة شيعية لرجاء نعمة خطابا لغويا يحمل أنساقا مضمرة مستترة خلف نسق لغوي وجمالي، فأهمية هذا البحث تكمن في الولوج الى أعماق هذا النص، واستخراج هذه الأنساق المتوارية. كما الكشف عن الأنساق الثقافية المختلفة في هذه الرواية.

و من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

ـ انجذابنا إلى الخوض في غمار دراسة تسعى إلى استظهار بعض الأنساق المضمرة في رواية "مذكرات امرأة شيعية"، والكشف عن ضلوعها في تكوين رواية السيرة الذاتية النسوية.

ـ المجال الواسع الذي تنتمي إليه هذه الرواية، حيث أن البحث في الأنساق المضمرة هو بحث في تمازج الثقافات والأزمان في نص واحد، ثم كونها رواية لم تدرس من قبل.

من خلال هذا قمنا بطرح إشكالية بحثنا، والتي تمثلت في عدة تساؤلات منها:

ـ إلى أي مدى أضمرت رواية "مذكرات امرأة شيعية" لرجاء نعمة. الأنساق الثقافية المهيمنة على الفكر والمجتمع العربي؟ وما هو النسق الأكثر حضورا في سيرة الروائية الذاتية؟ هل هو النسق الديني ممثلا في الطائفة الشيعية في لبنان، أم هو نسق الذكورة مقابل الأنوثة كما هو الحال في العالم ككل وفي العالم العربي خاصة؟

وقد اعتمدنا على منهج النقد الثقافي لدراسة هذه الرواية، بوصفه المنهج المناسب للتوصل إلى استخراج الأنساق المضمرة المهيمنة على النص من خلال سرد السيرة الذاتية للكاتبة

كما قمنا بهيكلة هذه المذكرة في خطة بحث اشتملت على مقدمة، وفصل أول تمهيدي نظري، وفصل ثان تطبيقي، وخاتمة.

أما الفصل الأول فقد قمنا فيه بضبط المصطلحات والمفاهيم والتعريف ببعض المصطلحات التي تخص دراستنا، وإزالة الغموض عنها ليتسنى للقارئ معرفة هذه المصطلحات. و هي السيرة مفاهيمها و تعالقها مع المفاهيم القريبة منها، الرواية، والنقد الثقافي.

والفصل الثاني التطبيقي المعنون بالأنساق المضمرة في رواية مذكرات امرأة شيعية لرجاء نعمة فقد قمنا فيه بالكشف عن الأنساق المضمرة في هذا النص، من خلال تقسيم الدراسة في هذا الجزء التطبيقي إلى عناوين تشتمل الأنساق التي تم التوصل إليها:

نسق ديني استنبطنا فيه أهم الرموز الدينية وما توارى خلفها.

نسق فكري تناول المجال التعليمي والتعلمي للكاتبة ومدى تأثيره على حياتها ومسارها العلمي والأدبي.

نسق اجتماعي أظهرنا فيه تحدي المرأة ومواجهتها للعادات وسلطة الرجل.

ونسق سياسي يكشف عن أهم الأحداث السياسية التي تضمنتها الرواية.

وختمنا البحث بجملة من النتائج بمثابة عصارة لهذه الدراسة، والتي أكدنا فيها على أن هذه الرواية تحمل في متنها أنساقا ثقافية مختلفة، كما تحمل تمازجا تاريخيا كبيرا.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث:

_عدم وجود دراسات سابقة تتناول الرواية المختارة بالتحليل.

أما عن أهم الدراسات السابقة التي كانت عونا لنا في إنجاز هذه المذكرة، فقد اعتمدنا على بعض المراجع التي تناولت النقد الثقافي وهي كالتالي:

_ كتاب النقد الثقافي لعبد الله الغذامي، والذي تناول فيه الناقد جملة من المفاهيم المرتبطة بالنقد الثقافي.

_ نقد ثقافي أم نقد أدبي لعبد الله الغذامي وعبد الله أصطيف.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر والحمد لله تعالى على إعانتنا لإتمام هذا البحث، كما لا يفوتنا تقديم الشكر إلى الأستاذة الفاضلة: آمال كبير، المشرفة على هذا البحث، لتقديمها لنا جملة من المراجع والملاحظات التي ساعدتنا على إنجاز هذا البحث.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما سوف يبدونه من ملاحظات ستكون لنا عونا لإتمام مسارنا البحثي مستقبل

الفصل الأول: السيرة والرواية و النقد الثقافي (المفاهيم اللغوية و الاصطلاحية و تطور المعنى)

تمهيد:

يعتبر أدب السيرة الذاتية نوعا أدبيا قديما، حيث أنه وظف لذكر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما عني المؤرخون، والشعراء وغيرهم بسيرهم الذاتية على مر الزمان.

وقد ورد هذا النوع من الكتابة السردية على شكل يوميات ومذكرات، وقصص، وروايات... وسنتطرق فيما يلي إلى مفهوم السيرة الذاتية في الكتابة الروائية، وقبل ذلك نورد توطئة مفهومية حول معناها ونشأتها والفرق بينها وبين الترجمة، ثم علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الأدبية الأخرى.

أولا: مفاهيم حول السيرة والرواية:

1-مفهوم السيرة لغة واصطلاحا:

ورد في لسان العرب (لابن منظور): "سّير: السّيرُ: الذهابُ، سَار يسيرُ سَيرًا ومسيرًا وتِسيارًا ومَسيرةً وسَيرُورة الأخيرة عن اللحيائي ،وتِسيارًا يذهب بهذه الأخيرة إلى الكثرة ... يقال سارَ القومُ يسيرونَ سيرًا وتسيرًا إذ امتد بهم السيْر في جهة توجهوا لها، ويقال بارك الله في مَسيركَ أيْ سّيركَ ... والتِسيارُ: تِفعال من السيرِ وسَايره، أيْ جراه فتسايرَا، وبينهما مسيرةُ يوم وسّيرهُ من بلده: أخرجه وأجلاه، وسّيرتُ الجل عن ظهر الدابة: نزعته عنه...وسارَ البعير وسِرتهُ وسَارت الدابة وسارها صاحبها، يتعدى ولا يتعدى. سِرت الدابة إذا ركبتها، وإذا أردت بها أن تمر . قلت " أسرتهَا الى الكلأِ ، وهو أن يرسلوا فيها الرعيان ويقيموهم، والدابة مسيرةٌ إذا كان الرجل راكبها والرجل راكبها والرجل سائرٌ لها، والماشية مُسارة، والقوم مَسيرون، والسّيرُ عندهم بالنهار والليل ... وسَايرهُ، سارَ معه وفلان تَسايرَ خياله، إذا كان كذابا ، والسِيرةُ :الضرب من السّيرِ، والسيرةُ السَنة، وقد سَارت وسرتها".[1] فالسيرةُ عند (ابن منظور) تعني لغويا الذهاب، الطريق، والسنة.

[1] ابن منظور، لسان العرب ، ط01 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان،، 1994 ، ص 317 . مادة (س ي ر)

كما ورد في التعريف اللغوي في كتاب أدب السيرة الذاتية لعبد العزيز شرف "السيرة "في اللغة :"هي الطريقة أو السنة و الهيئة ، و "سارَ" الوالي في الرعية "سيرة" وأحسن "السيرَ"، وهذا في "سِيرِ" الأولين وقال خالد بن زهير:

فَلا تَغْضبنَّ مِنْ سنةٍ أنتَ سِرتَهَا فأولُ راضِي سُنةٍ من يسيرهَا

وحين قال (ديكارت) "أنا أفكر فأنا موجود" ، فإنه كان بذلك يريد أن يوحد بين نشاط العقل وحياة الإنسان، وكأن قطب "الفكر"عنده قد استوعب كل أنشطة الحياة الإنسانية. ولم يلبث "مين دي بيران" أن أثار على هذا التوحيد، فقال قولته المأثورة " أنا أفعل فإذا أنا موجود" وكانت حجته في ذلك أن الفعل–لا الفكر– هو القطب الأساسي في حياة ذلك الموجود البشري الذي لا يمكن سوى أن يريد ويعمل ويقاوم، ويسجل نفسه في العالم الخارجي".[1]

فالتفسيرات الآنفة إذن تكشف لنا عن طبيعة السيرة الذاتية، إذا يصبح النشاط اللغوي سلوكا بشريا أساسيا، يكشف عن بعد هام من أبعاد الحياة وليس مفهوما متعلقا بالإنسانية فقط.

"وليس يكفي أن نقول أن الإنسان حيوان متكلم، وإنما يجب أن نضيف إلى ذلك أنه يتعامل مع العالم من خلال شبكة من الألفاظ التي تسمح له بالسيطرة على العالم فليس العالم البشري مجرد عالم من الإحساسات وردود الأفعال، بل هو عالم من التسميات والأفكار. والاسم الذي يطلقه الإنسان عن "الشيء" الواحد هو الذي يخلع الشيء "هويته" الخاصة، ومن ذلك اسم "السيرة الذاتية" نفسه إذ يصبح الاسم متضمنا التعريف ب "هوية" هذا الفن الأدبي، الذي يختلف عن فن آخر من فنون السيرة الإنسانية ونعني به فن (السيرة الغيرية)".[2]

والسيرة في الأدب لها أشكال وتعريفات متعددة، ومنها السيرة الذاتية، والسيرة الغيرية، وسنقدم فيما يلي تعريفات للسيرة الذاتية والغيرية.

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية ، ط01 ، القاهرة ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، مصر، 1998 ، ص 3.
[2] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص 04.

2- السيرة الذاتية :

يعرف (عبد العزيز شرف) السيرة بقوله: "إن السيرة الذاتية تعبر عن النشاط الذهني والنشاط العملي في حياة الإنسان من خلال نشاط لغوي، الأمر الذي يجعل من السيرة الذاتية "قصة" حياة ترويها للآخرين، وكأن من طبيعة الحياة أن يتخذ طابع الرواية المسرود أو القليلة للسرد. ومهما يكن من صعوبة التوحيد بين حياة إنسان، وقصة حياته، على نحو ما يرويها للآخرين في شكل أدبي يسمى"السيرة الذاتية" فإن الذي لا شك فيه أن المرء يجد متعة كبرى في الحديث عن نفسه، ورواية تاريخ حياته".[1]

يقول الدكتور زكرياء إبراهيم :"قد يكون ثمة خلاف بين حياتي على نحو ما أرويها وحياتي على نحو عشتها ، ولكن هذا الاختلاف ليس إلا صورة من صور الاختلاف الدائم بين القول المسرود أو الحدث المروي من جهة و الخبرة المعاشة أو التجربة الحية من جهة أخرى" .[2] فالفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية هو أن السيرة الذاتية يكتبها الإنسان عن نفسه ، أي يكتب حياته بنفسه، أما السيرة الغيرية فهي ما يكتبه الإنسان عن حياة الآخر.

وتعني لفظة "السيرة" اليوم حسب الاستعمال:

أ-"تاريخ الإنسان (مشهور عموما) مروي من طرف آخر، وهو المعنى القديم والأكثر شيوعا.

ب- تاريخ إنسان (غامض عموما) مروية شفويا من طرف لشخص آخر أثار هذا التاريخ من أجل دراسته (منهج السيرة في العلوم الاجتماعية) ".[3]

---

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية ص 27 .

[2] م ن، ص 28 .

[3] فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي ، تر: عمر حلي ، ط01 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان، 1994 ، ص 10 .

ج- " تاريخ إنسان مروي من طرفه لشخص أو أشخاص يساعدونه ،عن طريق سماعهم على التوجه في حياته (السيرة في تشكلها) ". [1]

كما "يقر (فيليب لوجون) بأنه كان عليه أن يأخذ بعين الاعتبار مثل هذه التعددية في المعنى أثناء استخدامه للفظة "السيرة الذاتية" التي أخذت من انجلترا في بداية القرن التاسع عشر، لتدل على معنيين متجاورين لكنهما مختلفان مع ذلك:

" - المعنى الأول (وهو الذي اختاره) هو الذي يقترحه لاروس سنة 1866 "حياة فرد ما مكتوبة من طرفه"، معارضا السيرة الذاتية التي هي نوع من الاعتراف مع المذكرات التي تروي أحداثا يمكن أن تكون غريبة عن السارد.

- المعنى الثاني: (وهو أكثر عمومية من الأول) وهو الذي يحدد السيرة الذاتية باعتبارها كل نص يبدو أن مؤلفه يعبر فيه عن حياته وإحساساته مهما كانت طبيعة العقد المقترح من طرف المؤلف، وهذا المعنى هو الذي قصده (فايبرو) في "المعجم الكوني للأدب" (1876) الذي يقول فيه بأن السيرة الذاتية عمل أدبي (رواية) سواء كان قصيدة أم مقالة فلسفية ...إلخ ، قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو صريح إلى رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم إحساساته، وسيقر القارئ بالطبع ما إذا كانت مقصدية المؤلف ضمنية أم لا ". [2]

من خلال ما سبق فإن (فيليب لوجون) بعد وضعه للسيرة في إطار الاستعمال يضع لها معنيين: المعنى الأول وهو يعارض السيرة الذاتية تكون مكتوبة من طرف الشخص نفسه، يكتب حياته، والمعنى الثاني هو عمل أدبي يعبر فيه المؤلف عن أحاسيسه وحياته مهما كانت طبيعة العقد من طرف المؤلف .

3- السيرة الغيرية:

تعرف السيرة الغيرية على أنها "بحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، وكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف الحياة التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه،

[1] عبد العزيز شرف، السيرة الذاتية ، ص 27 .

[2] فيليب لوجون، السيرة الذاتية ،ص 11.

والأثر الذي خلفه في جيله لذلك كانت أقرب إلى التأثير الدرامي من كل ألوان التاريخ الأخرى، وكانت أكثر إثارة للقارئ من كل كتابة تاريخية غيرها، حيث تجيش بكافة الانفعالات والعواطف التي تثور في أعماق البشر التي تتجرد منها الواقعة التاريخية تجردها من كل ما يدعو إلى الحدس والتخمين من أسرار النفس الإنسانية وحوافزها. فتبقى عارية إلا من الحقيقة وحدها فهي التي نضفي عليها رداء التاريخ وبهجته".[1]

والسيرة "قصة تاريخية لا تشذ أبدا عما يقيد التاريخ من حقائق تعتمد على الوثائق والمدونات والأسانيد القاطعة البعيدة عن الكذب والافتراء، إلا أنها قصة تتعلق بحياة إنسان فرد ترك من الأثر في الحياة ما جذب إليه التاريخ وأوقفه على بابه، وهي أحفل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجياشة والأحاسيس النابضة لأنها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصية وتبرز معالم حياته لتفصح عن سرد بنوعه وتفرده، إذ لا تحفل السير إلا بكل نابغة فريد... فالسيرة ليست سجلا لحياة فرد من مولده إلى مماته، ولكنها قصة إنسان فذ أو متميز بكل ما ينبض به قلب هذا الإنسان من أحاسيس وعواطف وما اعتور عقله من فلتات الذكاء الفذ والخيال الجامح. وأبرز ما في السيرة هو العمل الكبير الذي قام به صاحبها، والأثر الفعال الذي تركه بعمله في الحياة الإنسانية وبقدر ما يعظم هذا العمل ويعظم تأثيره، بقدر ما يحفل به التاريخ فيقص خبره، ويروى سيرة صاحبه".[2]

ويتضح لنا من خلال هذا أن السيرة الغيرية تبحث عن الحقيقة في حياة شخص ما، وجميع الملابسات المحيطة به، والأثر الذي خلفه في جيله، وهي قريبة من الدراما لأنها تخضع للعواطف والانفعالات، بعيدة عن الواقع التاريخي فهي تعرض عموما قصة حياة إنسان فذ ومتميز.

4- نشأة السيرة الذاتية :

أ-عند الغرب:

[1] حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، مصر، 1964، ص 14.

[2] م ن، ص 62 .

نشأت السيرة الذاتية قبل سنة 1800 (autobiographie) في أهم اللغات الأوروبية ، "حيث لاحظ (جورج ماي) أن جنس السيرة الذاتية شهد في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 وفرة في الأعمال المقتفية لحظ روسو ومرد ذلك إلى ما لقيته "اعترافاته" من نجاح وحظوة. فكان أمارتين على قيام السيرة الذاتية باعتبارها سنة أدبية. ومن ثمة أصبح مؤلف (روسو) رمز لنشأة جنس أدبي جديد وإن لم يكن صاحبه مبتدعا كل الابتداع ولكنه في كل الحالات يظل نموذجا يحتذى به.

ومن القضايا الداعية إلى تأمل اختيار كتاب غربي لتحديد نشأة جنس أدبي؛ أن السيرة الذاتية وليدة الثقافة الغربية، وقد أقر المؤرخون بأنها " شكل من أشكال التعبير خاص بالثقافة الغربية" ، وكل من يكتب سيرة ذاتية من غير الغربيين إنما هو مقلد لهم متأثر بثقافتهم..."[1]

وعلى هذا النحو يكون "تاريخ السيرة الذاتية مرتبطا روسو لأن "اعترافاته" مثلت بداية الوعي بهذا الفن الإنشائي، وكانت فاتحة قبول هذا الجنس الأدبي الوليد في "معبد الأجناس الأدبية "على حد عبارة جورج ماي ".[2] ويتضح من خلال هذا أن الإرهاصات الأولى لأدب السيرة الذاتية ظهرت مع (جون جاك روسو) في مؤلفه "اعترافات". المنشورة بعد وفاته عام (1712 -1778) وبعدها ظهر كتاب بالعنوان نفسه وضعه القديس أوغسطين (345 م-430 م) قبل أربعة عشر قرنا من الاعترافات.

ب-عند العرب:

ليس ضروريا أن تكون مطالع الأجناس أو الأنواع الأدبية في الثقافة العربية تقليدا في كل الأحوال؛ ف" إن أبرز ما يلفت النظر في الدراسات الدائرة على السيرة الذاتية في الأدب العربي أن الدارسين يكادون يجمعون على أن الترجمة الذاتية موجودة في أدبنا منذ أزمان بعيدة

[1] شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرة الآتي ، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين ، ط 01 ، دار الجنوب للنشر، تونس ، 1992 ، ص 18 .

[2] م ن، ص 18.

وإن كان القدماء لم يعرفوا المصطلح الذي هو حديث النشأة ،ويجمعون كذلك على أن " الأيام (لطه حسين) أكمل سيرة ذاتية في أدبنا الحديث، أخرجت الناس".[1]

وهذا القول يخالف ما أوردناه سابقا حول أسبقية هذا النمط من التعبير الأدبي عند الغرب وأن العرب مقلدين لا محالة، وعلى هذا سنحاول تتبع جذور الكتابة السير– ذاتية عند العرب منذ أقدم العصور الأدبية.

جاء لدى (شكري المبخوت) "أن الدارسين للسير الذاتية يمهدون لها دوما بذكر نماذج من هذا الفن قديمة. وأكثر هذه النماذج تواترا "طوق الحمامة" لابن حزم ،وكتاب الاعتبار لأسامة ابن منقذ، والتعريف لابن خلدون ورحلته شرقا وغربا" لابن خلدون،وميزوها تاريخيا مما كتب بعض أعلام عصر النهضة مثل "الساق على الساق" (لأحمد فارس الشدياق)، وتلخيص الإبريز في تلخيص باريس (لرفاعة رافع الطهطاوي).ولكنهم تبينوا بالمقارنة والمقايسة أن هؤلاء نهجوا في تراجمهم الذاتية نهج تراجم العلماء التي يزخر بها تراثنا العربي، رغم اهتمامهم ببعض الثقافات الأوروبية ".[2] وما يجمع هذه السير، أنها كتبت للاختيار عن الجانب العمومي من الشخص.

إن السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث " لا يمكن فصلها عن جيل طه حسين فمع هذا الجيل بدأ الوعي الفني بخصائصها. وهذا الوعي مأتاه إلهامهم بالآداب العربية وانتماؤهم إلى مرحلة تحول فكري عميق مثل المهاد الذهني الاجتماعي لتقبل هذا الشكل الفني الغربي .فهو شكل تعبيري يستجيب–عند العرب– لحاجة فنية وفكرية "[3] ظهر لنا من هذا أن السيرة الذاتية كانت ولازالت موجودة منذ الأزل وأحسن دليل على ذلك " الأيام "لطه حسين حديثا و"طوق الحمامة " لابن حزم قديما .

5– أشهر السير العربية:

[1] شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرة الآتي، ص 24.

[2] شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرة الآتي، ص 25 .

[3] م ن، ص 31 .

من أشهر السير عند العرب "سير المغازي: وتعني غزوات النبي ﷺ، وأول من كتبها الصحابي الجليل عروة بن الزبير رضي الله عنة، فعثمان بن عفان، فمحمد بن مسلم الزهري، فمحمد بن إسحاق وهذين سيرته من القصص الشعبية والشعر المنحول ابن هشام... وعرفة سيرة النبي المصطفى، صلوات ربي وسلامه عليه باسمه.

وتعتبر سيرة (أحمد فارس الشدياق): (1860 م لبنان): الساق على الساق فيما هو الفرياق أول سيرة عربية في العصر الحديث".[1]

ومن أقدم السيرة العربية: سيرة المغني والموسيقي العربي (إسحاق الموصلي)... وابنه (إبراهيم)... ثم سيرة (أبي حياة التوحيدي)، وسيرة (ابن سينا) .

أما أشهر سيرة عربية قديمة: فهي سيرة (ابن خلدون) (ت 808هـ) بعنوان التعريف (بابن خلدون) ورحلته شرقا وغربا .

ومن أهم السير الحديثة:

- (أحمد أمين) حياتي
- (طه حسين) الأيام. [2]

نستخلص مما سبق أن السيرة الذاتية العربية كانت موجودة وبغزارة خاصة فيما يخص غزوات النبي ﷺ، فقد عنيت السيرة في عصر الرسول صلوات الله عليه وسلم، وفي العصر الحديث اعتبرت سيرة (أحمد فارس الشدياق) السيرة المشهورة، وعنيت قديما السيرة بالمغني (اسحاق الموصلي) و(ابن سينا) وغيرهم على غرار (ابن خلدون) ، كما عرفت سيرة (أحمد أمين) و(طه حسين) وغيرهما.

6-الفرق بين الترجمة والسيرة:

[1] عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، ط02، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2011، ص 145.

[2] م ن، ص30.

إن المتتبع للفظتي: (الترجمة والسيرة) يجد "أنهما يدوران على معنى" تاريخ الحياة "وقد اتخذ التأريخ للفرد، صورا مختلفة لدى العرب، وكانت السيرة أولى هذه العصور، وقصد بها حياة الرسول الكريم ومغازيه وان لم يمنع ذلك وجود سيرة معاوية وبني أمية ... لعوانة الكلبي (المتوفى 14 هـ) كما يذكر ابن القديم، وقد ظهرت فيما يبدو في وقت ظهور سيرة ابن إسحاق (المتوفى سنة 151) ثم تعددت أنواع التأريخ للأفراد بعد ذلك، فكان الجرح والتعديل، والطبقات، ثم التراجم في العصور المتأخرة التي تلت عصر الرواية والتدوين".[1]

وكل هذه الأنواع هي الأقسام التي ينحل إليها "التأريخ للأفراد عند العرب وظلت السيرة عصورا يقتصر استعمالها على بيان حياة الرسول، ثم تطور الاستعمال في عصور تالية فاستعملت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة، بدليل ما يذكره صاحب كشف الظنون من ظهور سير كثيرة منذ القرن الرابع هجري، كسيرة (أحمد بن طولون)لابن الداية (المتوفي سنة 234هـ)، وسيرة طلال الدين، لابن شداد(المتوفي سنة 662 هـ)".[2]

أي أن السيرة قديما كانت تعنى بحياة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم تتجاوز الإطار الديني، واقتصرت على سيرة الرسول فقط عليه الصلاة والسلام، ثم تطورت بعدها لتصبح مرآة عاكسة لحياة الأشخاص وبهذا اكتسبت تطورها المفهومي الدقيق.

أما كلمة "الترجمة" فهي كلمة دخلت إلى العربية عن اللغة الأرمية، ولم يكن الاصطلاح قد جرى على استعمالها، فيما يبدو في معجمه بمعنى "حياة الشخص" ويرجع هذا الظن أن (أبا الفرج) في كتابه (الأغاني) لم يستعمل لفظه ترجمة عند كلامه على حيوات الشعراء وغيرهم ،وكان يسبق كلامه بمثل قوله: خبر أبي قطيفة و نسبه أو أخبار بشار بن برد ونسبه".[3]

---

[1] يحي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ط 01 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ص 30.

[2] يحي ابراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 30.

[3] م ن، ص 31.

وعلى مر العصور" نرى كلمة ترجمة في الدراسات والمؤلفات المتخصصة، حتى صارت مصطلحا يدل على تاريخ الحياة الموجز للفرد، وكلمة "سيرة "يصطلح على استعمالها لتدل على التاريخ المهب للحياة. وإذا كان السابقون—على ما ترى— يفرقون في الاستعمال بين اللفظين، فإن الاصطلاح الحديث لا يفرق بينهما كثيرا، بل يستخدم إحداهما مرادفة للأخرى، ثم جاء الاصطلاح المعاصر "الترجمة أو السيرة الذاتية ".[1]ويظهر من هذا أن لفظة الترجمة كان يقصد بها أخبار الشعراء وغيرهم. وآخرون استخدموها بمعنى حياة الأشخاص، وهذا يعني أنه لا يوجد فرق بين لفظة "السيرة والترجمة" فكلاهما يدلان على حياة الأشخاص.

ونجد الاختلاف في الاستخدام الاصطلاحي بين فريقين: " الفريق الأول: أنه لا فرق بين السيرة الذاتية والسيرة العامة، في الغاية والشكل والمضمون، إلا أن إحداهما تكتب بصيغة المتكلم والأخرى بصيغة الغائب، والدليل على هذا أنه لو اجتمع عشرون كاتبا على كتابة سيرة لأحد الناس لتوفرت لدينا عشرون سيرة مختلفة على الرغم من أن المواد واحدة متفقة، ولو كتب هؤلاء سير أنفسهم لطالعنا أيضا مثل ذلك العدد من السير الذاتية المتباينة..."[2]

أما الفريق الآخر فيقول: " إن بينهما شراكة كالتي بين كثير من الفنون الأدبية ، ولكن القول باتفاقهما الكامل خاطئ أو بعيد عن الصواب ،لأن الترجمة الذاتية نقل مباشر أما الترجمة الغيرية _أي حياة الآخرين_ فإنها نقل عن طريق الشواهد والوثائق، ثم إن الصفات التي تجعل السيرة الذاتية عظيمة ليست هي نفس الصفات التي تجعل السيرة الغيرية عظيمة وفي رأس تلك الصفحات أن يكون كاتب السيرة موضوعيا، يلمح بسرعة ويفهم بأحكام ويلم الحقائق، ويحكم عليها، ويمزجها مزجا متعادلا منسجما ويصيغها بأسلوبه ".[3]

أما " كاتب السيرة الذاتية فإنه ذاتي قبل كل شيء، ينظر إلى نفسه ويسلط أضواء النقد ودقة الملاحظة على شخصيته، ومترجم غيره يقف الشاهد لا القاضي أما المترجم نفسه

[1] يحي ابراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 31.

[2] إحسان عباس، فن السيرة، ط 01، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996، ص 101.

[3] إحسان عباس، فن السيرة، ص 102.

فإنه يجمع بين الصفتين. فليس للأول أن يحمل فكرة مقررة سابقة عمن يترجم له، وإنما واجبه أن ينقل صورته إلى الخلف كما كانت تلك الصورة معروفة بين معاصريه ".[1]

فالمتتبع للفرق بين السيرة والترجمة يجد أن السيرة أقدم من الترجمة حيث كانت السيرة منذ العصور القديمة، فيما ظهرت الترجمة بعد عصر الرواية والتدوين. وعنيت السيرة بحياة الرسول والصحابة فقط قديما، أما الترجمة فهي كلمة دخلت إلى العربية، ولم تستخدم إلا في أوائل القرن 7هـ، حيث كانت تعني الأخبار مثل خبر أبي قطيفة ونسبه، وأخبار بشار بن برد ونسبه.

على هذا ظهر في الاختلاف بين الترجمة والسيرة، فريق لم يفرق بينهما ما عدا أن إحداهما تكتب بصيغة المتكلم، في حين تكتب الأخرى بصيغة الغائب، أما الفريق الآخر فيقول إن الاتفاق الكلي بينهما لا يمكن لأن الترجمة الذاتية ، نقل مباشر ، أما الغيرية فإنها نقل عن طريق الشواهد و الوثائق ، وكاتب السيرة يكون موضوعيا ، أما المترجم يكون ذاتيا .

7_ أنواع السيرة الذاتية:

يعرف (فيليب لوجون) السيرة الذاتية كالآتي: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة. يمكن تفكيك عناصر هذا التعريف للسيرة الذاتية في الجدول التالي:

شكل اللغة	الموضوع	وضعية المؤلف	وضعية السارد
- حكي - نثري	– حياة فردية – تاريخ شخصية معينة	– تطابق المؤلف (الذي يحيل اسمه الشخصية الواقعية) والسارد	- تطابق السارد والشخصية الرئيسية. منظور استعدادي للحكي.[2]

[1] م ن، ص 103 .

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ط 01، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص34.

ومثلما تتضمن الرواية كنوع أدبي أشكالا وأنماطا متعددة تتضمن السيرة الذاتية أشكالا وأنواعا مختلفة أهمها:

"1_السيرة الموضوعية: إذا كان موضوع السيرة الذاتية هو الذات، حيث يتطابق المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية، فإن موضوع السيرة الموضوعية هو الآخر، حيث يقوم السارد بحكي حياة إنسان آخر ورصد ظروف نشأته، متتبعا مراحل تطور حياته وانتقالاته في الزمان والمكان، ولذلك تسمى أيضا بالسيرة الغيرية. وغالبا ما يكون المترجم له في السيرة الموضوعية فرد ذو وضع اعتباري متميز له مكانة في المجتمع والتاريخ، بحيث يكون الهدف من كتابة سيرته هو أخذ العبرة وتقديم حياته بوصفها نموذجا جديرا بأن يروى ويقتدى به "[1] فتهتم السيرة الموضوعية إذا، برصد حياة شخص ما منذ نشأته ويقوم بتتبع مراحل حياته إلى غاية وفاته، مهتما بالجانب التاريخي.

"2_السيرة الذهنية: هي السيرة التي يستفيد فيها الكاتب مراحل حياته الفكرية و الثقافة و التعليمية، ويعرض فيها مسارات تعلمه و تربيته الذهنية و الوجدانية و ما أثر في شخصيته الفكرية من تيارات ثقافية و فلسفية وما عاشه من تحولات فكرية و نفسية. ومن أمثلة السيرة الذهنية في أدبنا العربي، أوراق (لعبد الله العروي)، الذاكرة الموشومة (لعبد الكبير الخطيبي)، وأنا للعقاد، وتربية سلامة موسى (لسلامة موسى)، تهتم بالسيرة الذاتية _على خلاف السيرة الذاتية_ في المقام الأول بجانب النمو الفكري النفسي للشخصية و المؤثرات الثقافية و ميولها الفنية وأذواقها الأدبية "[2] يدرس هذا النوع من السيرة الذاتية، مراحل حياة الإنسان أو الكاتب ويعرض فيها أهم التحولات الثقافية، الفكرية والفلسفية وغيرهما التي أثرت في حياة الكاتب، أي يهيمن الجانب الفكري والثقافي على هذا النوع من السير.

"3_السيرة الذهنية الموضوعية: وهي التي تهتم برصد شخصية فكرية معروفة تستأثر بالاهتمام وبقطب من أقطاب التأليف والفكر الذي يحظى بمقومات وقيم تميزه عن غيره من الأعلام،

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ص 34.

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص 35.

يقوم السارد فيها يرصد مساره التعليمي والثقافي والمعنوي، ويتتبع أطوار حياته منذ نشأته وطفولته إلى وفاته. ومن أمثلة السيرة الموضوعية الذهنية في أدبنا العربي، حياة الرافعي (للعريان)، (جبران لميخائيل نعيمة)، لمحات من حياة (العقاد) المجهولة (لعامر العقاد)، حياة (مطران) لطاهر (أحمد الطناجي)[1] يشمل هذا النوع السيرة الذهنية و الموضوعية و يهتم بحياة الكاتب و نشأته، وظروف تعلمه وكل مساره إلى غاية وفاته ، بالإضافة إلى الجانب الفكري و الثقافي الذي أثر في حياة هذا الكاتب .

كما أن هناك عدة أنواع أخرى للسيرة الذاتية، يذكرها عماد علي الخطيب في كتابه في الأدب الحديث ونقده كالآتي:

1 – " السيرة الذاتية الشعرية: وهي سيرة ذاتية يكتبها شاعر .

2 – السيرة الذاتية القصصية: سرد سيرة ذاتية يكتبها قاص .

3 – السيرة الذاتية الروائية: سرد سيرة ذاتية يكتبها روائي .

4 – السيرة الذاتية النقدية: سرد سيرة ذاتية يكتبها ناقد من منهجه و نظريته .

5 – قصيدة السيرة الذاتية: سيرة ذاتية مكتوبة شعرا ... ذات نزعة سردية .

6 – قصة السيرة الذاتية: سرد سيرة ذاتية مكتوبة قصة .

7 – رواية السيرة الذاتية: سرد سيرة ذاتية مكتوبة رواية .

8 – الشهادة: نمط من السيرة الذاتية أو الغيرية يتناول تجربة معينة تكتب للمساهمة في مؤتمر أو ندوة ".[2]

8–السيرة الذاتية والأنواع الأدبية القريبة منها:

[1] م ن، ص 35.

[2] عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث و نقده، ص 147 .

تتداخل السيرة الذاتية مع العديد من الأنواع الأدبية الأخرى، وأهم هذه الأنواع هي التاريخ، السيرة الغيرية، المذكرات، اليوميات، والرواية، والقصة .

أ- السيرة الذاتية والتاريخ:

" لقد نشأت السيرة بنوعيها، الذاتية والغيرية في حضن التاريخ، لذلك ففيها بعض ملامحه، بل إنها في بعض الأحيان تقترب منه إلى درجة تجعل بعض الباحثين يعدونها لونا من ألوان التاريخ.

وفي كثير من الأحيان، نجد أن الباحث، عندما يحاول أن يعرف السيرة، يعرفها بأنها تاريخ الحياة، ومثال ذلك ما ورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب " السيرة تاريخ الحياة، ترجمة الحياة .

وقد أثارت مسألة تأرجح السيرة بين الأدب والتاريخ، (سهير القلماوي) فناقشتها إلى أن توصلت إلى أن " فن كتابة السير فن أدبي... ولكنه كالمسرحية والتاريخية مرتبط بأساس تاريخي وببعض معلومات شائعة عن العصر و الزمان والمكان ، ولا يمكن للمسرحي أن يتخلص منها".[1] والسيرة "تشبه التاريخ في حاجتها للتحري والصدق، وفي اعتمادها في بعض الأحيان على الوثائق والمدونات. كما أنها تشبهه في أنها تحتوي على أحداث وأشخاص، ولكن التاريخ يركز غالبا على الأحداث، أما السيرة الأدبية فيجب أن تركز على شخص واحد يكون هو محور الحديث، والأشخاص الآخرون، والأحداث تدور في فلكه "[2].

وكلما كانت السيرة "تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة، أو المنعكسة منها، أو المتأثرة بها، فإن السيرة _ في هذا الوضع _ تحقق غاية تاريخية، وكلما كانت السيرة تجتزئ الفرد وتفصله عن مجتمعه وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، وتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة"[3]. وتختلف السيرة الذاتية عن التاريخ " في اعتماد كاتبها على التذكر في استرجاع الأحداث لإعادة

---

[1] تهاني عبد الفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ط 01، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2002 ، ص 16.
[2] تهاني عبد الفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 17.
[3] احسان عباس، فن السيرة، ص 10 .

صياغتها، ومن طبيعة الذاكرة أنها تسقط الأحداث أو التصور للإنسان أمورا لم تحدث، وكذلك لابد لكاتب السيرة الذاتية من اللجوء إلى الخيال حتى يستطيع أن يصوغ الأحداث التي نذكرها في بناء فني، أما التاريخ فإن دخول عنصر الخيال إليه، يعد تشويها للحقائق وتزويرا لها، وليس للذاكرة أي دور في صياغته، فهو لا يعتمد إلا على الوثائق والمدونات. وبذلك تكون عملية كتابة التاريخ مجرد توثيق للحقائق، أما كتابة السيرة الذاتية فإنها عملية إبداعية يمزج فيها المبدع بين الحقيقة والخيال "[1].

من خلال ما تحدثنا عنه سابقا عن علاقة السيرة بالتاريخ، فإن السيرة نشأت في أحضان التاريخ، ولا يمكن فصلها عنه، ولكن الفرق بينهما أن التاريخ يركز في الأحداث السائدة في عصر ما، أما السيرة فهي تكون هنا ذات فائدة تاريخية، وكذلك يلجأ كاتب السيرة الى الخيال من أجل التشويق، فيما يلتزم التاريخ بتوثيق الحقائق بعيدا عن الخيال.

ب– السيرة الذاتية والمذكرات واليوميات:

المذكرات تشترك أو ترتبط مع السيرة الذاتية باعتبارهما يسردان حياة شخص ما "فالمذكرات عبارة عن سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف وكان له فيها دور. وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك المؤلف فيها أو شهدها، أو سمع عنها في معاصريه ، و أثره في مجرى حياته "[2]. ثم كثرت الأعمال التي تدخل في نطاق الترجمة الذاتية، واتخذت أشكالا مختلفة " منها اليوميات، وبدأ الاهتمام بكتابتها في أوائل القرن السابع عشر وكان أصحابها يحرصون على عدم نشرها، وإلى السير (وليم دو جديل) يعزى ظهور اليومية الحقة في الأدب الانجليزي، وقد سجل فيها خمسة فيها خمسة و أربعين عاما من حياته التي انتهت في سن الثانية و الثمانين (1605–1686م) و لم تنشر يومياته إلا بعد وفاته.

[1] تهاني عبد الفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 18 .

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، ط01 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1979 ، ص 246 .

وتتابعت الترجمات الذاتية الانجليزية بعد نشرها، وكانت كلها على شكل يوميات، كيوميات (بلستورد1605-1675) ومفكرة (جورج فوكس 1624-1691) التي نشرت بعد وفاته بأعوام ..."[1].

وهناك من فرق بين السيرة الذاتية والمذكرات واليوميات "لأن نص السيرة الذاتية يحكي ماضيا بسرد متواصل، فيما تكون المذكرات واليوميات (الرسائل) والمراسلات التي تنشر بعد وفاة أصحابها وعند الكتابة عنهم، ضمن تلك الوثائق بشيء من التوسع و التمدد".[2]

يبدو من خلال ما سبق أن هناك اقتراب بين السيرة الذاتية والمذكرات والسيرة الذاتية واليوميات، فاليوميات تعتبر شكلا من أشكال الترجمة أو السيرة، و المذكرات سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف والفرق بينهم أن السيرة تحكي في الماضي بسرد متواصل، و المذكرات واليوميات عبارة عن مدونات.

ج- السيرة الذاتية والرواية:

تعدّ الرواية من أكثر الأشكال الفنية القريبة للسيرة الذاتية ، فهي تتداخل معها في العديد من النقاط ، و تكون قريبة جدا إليها من حيث البناء الفني خاصة . فمن الأشكال المألوفة في الرواية أن هناك " تطابقا بين المؤلف و الشخصية ، في حين أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق، أو على الأقل اختار أن لا يؤكده، و حسب هذا التحديد، تشمل رواية، السيرة الذاتية روايات شخصية (شخصيات مشار اليها بضمير الغائب) ، إنها تتحدد على مستوى مضمونها، وخلافا للسيرة الذاتية، فإنها تحتوي درجات، ف"مشابهة" التي يفترضها القارئ يمكن أن تتحول من "مشابهة" مترددة بين الشخصية و المؤلف، إلى شبه ثقافية تدفع إلى القول بأنه "شديد الشبه به" هكذا كتب ناقد بصدد "سنة السرطان" 1972 (لأوليفييه

[1] يحي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 15 .

[2] حاتم الصكر، كتابة الذات دراسات وقائعية الشعر ، ط01، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1994، ص 192 .

طود)، أن" الكاتب برمته يقر نفسه، بشكل حصري، سيرة ذاتية، خلف الأسماء المستعارة الشفافة...أما السيرة الذاتية فلا تحتوي درجات: أنها كل شيء أو لا شيء "[1].

وتكون الرواية "بمقتضاها أكثر صحة (أكثر عمقا، أكثر حقيقة) من السيرة الذاتية... ويقول أندريه: " لا يمكن أن تكون المذكرات إلا نصف _صادقة _ ولو كان هم الحقيقة كبيرا جدا: فكل شيء معقد دائما أكثر مما نقوله، بل ربما تقترب الحقيقة أكثر في الرواية "[2].

إن المؤلف إذن "اسم علم يتحمل بذاته سلسلة من النصوص المنشورة المختلفة، ويستخلص وجوده من لائحة مؤلفاته الأخرى التي تدرج غالبا في بداية الكتاب تحت عنوان: "كتب المؤلف" ، وتفترض السيرة الذاتية (القصة التي تحكي حياة المؤلف أن يكون هناك تطابق الاسم بين المؤلف) كما يندرج عن طريق اسمه في الغلاف أو سارد الحكي، والشخصية التي يتم الحديث عنها، وهذا المعيار جد بسيط يحدد في نفس الوقت، السيرة الذاتية وكل الأنواع الأدبية للشخصية الأخرى (المذكرات، الرسوم، الرسائل)"[3]

فعلاقة الرواية بالسيرة ينتصر لمصطلح الرواية؛ فهي أكثر صحة من السيرة، وتفرض السيرة تطابقا بين الاسم والمؤلف عن طريق اسمه في الغلاف.

د- السيرة الذاتية والاعترافات:

ارتبطت الاعترافات بالسيرة الذاتية ارتباطا وثيقا، فقد درج المؤرخون في الكتابات التاريخية على تسجيل الأحداث والمواقف من وجهة نظرهم الشخصية "ومن أشهر التراجم في العصور الوسطى، اعترافات القديس (أوغسطين) التي تعتبر قمة الاعترافات الدينية وقد حذا حذوها من كتب بعده، وهي تذكر بما احتوته من صراحة وصدق وقدرة على الاستبطان والتعري للنفس والأصالة.

---

[1] فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص 38.

[2] م ن، ص 35.

[3] فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص 58.

وقد كانت الاعترافات الدينية في العصور الوسطى،تعني عناية شديدة بتصوير تجربة الكشف الصوفي، وهي تجربة تشبه تجربة الإلهام لدى الفنان، حافلة بالصدق، لأن الصوفي ينقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم غير مألوف لنا.

في لحظات فورية فجائية يخرج فيها عن شعوره الواعي، محلقا بعيدا عن عالمنا الأرضي إلى عالم سماوي، ثم لا يلبث وعيه أن يرتد إليه، فيصور مواجيده وما شاهده في تجربته الكشفية، تصويرا صادقا ".[1]

وفي الأدب العربي نظائر وأشباه لها في كلام المتصوفة منها" كتاب النصائح الدينية (للمحاسبي)، والمنقذ من الضلال للغزالي. والطواسين للحلاج، والغربة الغربية (للسهروردي)، وبعضها يصور تجربة الكشف الصوفي وما أفاض الله على صاحبها من فيوضات، والبعض الآخر يفصح عن الطريق الوعر، الذي خاضه أصحابها في لجج الشك والجيرة، وعن ألوان من التجارب عانوها في المجاهدات الروحية، حتى بلغوا مقام تلك التجربة الذاتية ".[2]

نستنتج من خلال هذا أن العلاقة بين السيرة الذاتية والاعترافات علاقة وطيدة، فقد أطلق على الاعترافات قديما السير. حيث عنيت في فترة من الفترات بالجانب الديني و ترتبط بالتجربة الصوفية.

هذا النوع من الترجمات الذاتية الاعترافات " ظلت تحتذى تقاليد الاعتراف الديني، وكان مما ساعد على استمرارها "طائفة الرسوليين" التي نشرت مواعظ صيغت في أساليب أدبية ترمي إلى هداية الناس، تعززها حقائق روحية للتجربة الذاتية المباشرة، وتذكر في هذا الباب اعترافات (جون نيوتن)، صديق الشاعر كوبر، وكان مقبلا على التمتع بلذائذ الحياة، واقترف الكثير من الآثام التي عبر في اعترافاته عن ندمه على ارتكابها، و(كوبر) نفسه كتب عام 1716 اعترافات روحية، لكن أعظم الاعترافات أهمية، يرجع ظهوره إلى القرن الثامن عشر، لأنها لم تكن اعترافات دينية بالمعنى المعروف، وإنما كانت تصب على الحياة الخاصة "[3]

---

[1] عبد الدايم يحي، الترجمة الذاتية ، ص 13.

[2] م ن، ص 14.

[3] عبد الدايم يحي، الترجمة الذاتية، ص 17.

وكان لابد لكي لا تبقى الترجمة الذاتية مضافة إلى التاريخ "... من الاعتداد بتجارب الحياة للأفراد، حتى تكون لها قيمة في ذاتها. وقد كان الإلهام بهذه الحقيقة بمثابة الاكتشاف الفني للترجمة الذاتية وأفضى إلى نموها من حيث هي فن أدبي يقوم على حياة الأفراد التي تعد في حد ذاتها محورا لما تخطه أقلام (الكتاب)، وكان ذلك خطوة كبيرة في سبيل تطور الترجمة الذاتية ومفهومها "[1] فلا يمكن فصل السير عن الاعترافات وأمثلة الاعترافات التي سادت قديما بمثابة "سير"، اعترافات (جون نيوتن)، فالاعترافات بهذا صنفت على أنها تمثل سيرة لأن الشخص فيها يحكي بنفس الطريقة التي يعتمدها شخص آخر في السير، فتعبر الاعترافات سيرا ذاتية أولى في تاريخ الكتابة السير_ ذاتية.

9-مفهوم الرواية:

"يطلق تعبير الرواية الآن على أنماط شديدة التنوع من الكتابة، بحيث لا يجمع بينهما في الحقيقة إلا كونها أعمالا نثرية مطولة والرواية هي عمل أدبي ذو طول معين، فيه خط من نوع معين. أما إذا حاولنا البحث بصورة أكثر ايجابية بهدف تحديد أرضية مشتركة، فيمكننا أن نشير إلى أن هذا النمط من الأدب، جاهد منذ بداياته الأولى للالتزام بعنصر التجديد أو التفرد، وهو المعنى الضمني لكلمة رواية بالإنجليزية (Novel)، وكما يشير ادوارد سعيد: التجديد هو في أن يكون العمل مبتكرا وأصيلا، أي أن يكون شكلا لا يكرر ما يردده معظم الناس، إما بحكم الحاجة أو الاضطرار".[2] وفي هذا التعريف نلاحظ أن مصطلح الرواية يختص بأنواع مختلفة ومتعددة من الكتابة، ومن مميزاتها أن لها طول معين وخط معين، وتتصف بالتجديد والتفرد، فهي من الأشكال الأدبية التي تتميز بالتغيير.

ويعرفها (ميخائيل باختين) بقوله: "ان ما يميز الرواية كجنس أدبي بالمقارنة مع الأجناس الأخرى، أنها جنس مفتوح ومركب يمزج في بنيته الداخلية بين أجناس مختلفة (الشعر،النثر،الرحلة، المذكرات، الرسالة...) وبين لغات متعددة (الفصحى، العامية، اللغة الراقية، اللغة المبتذلة، لغات الطبقات الاجتماعية المختلفة، لغات المهن...)، بحيث يمثل

[1] عبد الدايم يحي، الترجمة الذاتية، ص 18 .

[2] روجر آلن : الرواية العربية ، تر : حصة ابراهيم المنيف ، د ط ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 ، ص 18.

التعدد اللغوي الخاصية الجوهرية للخطاب الروائي، لأن الرواية بنظر باختين: التنوع الاجتماعي للغات والأصوات الفردية تنوعا منظما أدبيا".[1] من خلال هذا فإن الرواية في نظر (باختين) تعني أنها جنس أدبي منفتح على العديد من الأجناس الأخرى المختلفة كالشعر، النثر، المذكرات... وبين لغات مختلفة، فهي تتميز بالتعدد اللغوي والاجتماعي. وهذا ما يجعلها تتفرد بهذه الصفحة عن الأجناس الأدبية الأخرى.

– مفهوم الرواية السير_ ذاتية :

"هي السيرة التي يكتبها صاحبها، عالم ومفكر بعد تجاوزه سن الأشد وعند بلوغه سن النضج في جو ارتسمت فيه عمليته في مسامع الجماهير وأبصارهم تدفعه اليها جملة أسباب منها: متعة الذكرى حتى لا يغيب في ثنايا النسيان بعد تقادم السن ومنها: الوقوف على معاني الحساه الماضية ومدى نصيبه منها في مجال العلم، و الفكر والكفاح، وماشهده من المواقف، والأحداث التي كان لها ارتباط بحياته، ينشرها أمام الأجيال القادمة ملتزما الواقع، لا ليقيم نفسه مقام الشاهد لها، مغالبة القوى العاطفية في الإشهاد و الدفاع و الثناء ... فترجمة المرء لنفسه إذ تعتمد على الصدق، وتعتمد الصراحة، التزام الأمانة والتثبت".[2]

نستنتج من خلال هذا أن السيرة الذاتية هي نوع أدبي يكتبها شخص لديه قدر من العلم الكافي والذي يؤهله لكتابة هذه السيرة، ويتضمن هذا النوع من الرواية سردا للأحداث التي عاشها هذا الشخص، والذكريات التي لم تغب عن ثنايا عقله معتمدا في ذلك على الصدق والصراحة والأمانة .

والسيرة الذاتية أيضا "من أهم الوسائل للتعريف عن الشخصية بطريقة رسمية حيث يتم من خلالها رسم صورة أولية للشخص صاحب السيرة الذاتية ومعرفة خلفيته حيث يتم من خلالها رسم صورة أولية للشخص صاحب السيرة الذاتية ومعرفة خلفيته العلمية والعملية

---

[1] محمد بوعزة : الدليل الى تحليل النص السردي في تقنيات و مناهج ، ط01 ، دار الحرف للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء، 2007 ، ص 10 .

[2] بكر بن عبد الله أبو زيد، العلماء الذين ترجموا لأنفسهم (السيرة الذاتية)، ط01 ، مطابع دار الهلال لأوفست، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 23 ، 24.

والمهارات والقدرات التي لديه،ومن السيرة الذاتية يقرر ذو الأعمال بإجراء مقابلة مع الشخص أولا ، إذن فهي المفتاح الرئيسي لأي عمل يقدم عليه الشخص".[1]

ثانيا: مفهوم النقد:

أ_ لغة :" نقدَ : النقدُ تمييز الدراهم و إعْطاؤُكُها إنسانًا وأخذُهَا. والاِنتِقادُ والنقدُ : ضرب جَوزةً بالإصبع لعبًا، ويقال: نقدَ أَرنبَتهُ بإصْبعهِ اذا ضربها، قال خلف:

وأرنبةٌ لكَ مُحمرّةٌ يكادُ يُفَطرّهَا نقدهُ.

أي يشقها عن دمها. والمِنقدَةُ :خَزيفةٌ تُنقدُ عليها الجَوْزة، وكل شيء ضربته بإصبعك كنَقدِ الجَوْز فقد نقدتُه. والطائر ينقُدُ الفخَّ أي ينقُرهُ بِمنقارهِ. والإنسان ينقدُ بعينيه إلى الشيء وهو مداومته النظر واختلاسه حتى لا يفطن له. وتقول: مازال بصرهُ ينقدُ إلى ذلك الشيء نقودًا والأنْقَدان: السلحفاة الذكر. والنقدُ: ضربٌ من الغنم صغار، وجمعه النُّقادُ. نقدَ : فرسٌ نقد: إذا أخذَ من قومٍ آخرين".[2] وعليه فإن مصطلح النقد في معجم العين ينطوي على العديد من المعاني منها:

تمييز الدراهم وإزالة الزيف والفاسد منها، كذلك كل ما ضرب بالإصبع، كما يعني مداومة النظر واختلاسه. وهي الضرب من الغنم.

وجاء في لسان العرب" نقدَ: النقْدُ: خلاف النَّسِيئة: والنقدُ و التنقادُ : تمييز الدراهم وإخراج الزّيف منها، أنشد سيبويه:

تَنفِي يداهَا الحصَى، في كلّ هاجرةٍ نَفْيَّ الدنانير تِنْقاد الصيّاريفِ.

ورواية (سيبويه): نَفيَ الدراهيمِ، وهو جمع دِرهم على غير قياسٍ أو دِرهام على القياس فيمن قاله. وقد نقدهَا ينَقدهَا نقدًا وانتقدهَا وتنَقّدَها ونقْدهُ إياهَا نقدًا: أعطاه فانتقدها أي

[1] أنس غسان الشيخ الخفاجي، السيرة الذاتية، مركز الضيافة الدولية للتدريب السياحي والفندقي، دمشق، سوريا، ص02.

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ، ط01 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، المجلد 04، ص 255.

قبضها. الليثُ : النقدُ تمييز الدراهم و إعطاؤُكُها إنسانا ... والدِرهمُ نقدٌ أي وازن جيد . ونَاقدتُ فلانًا اذا ناقشته في الأمر ... ونَقدهُ بإصبعهِ أي نقرَ، و نقدَ الرجل الشيء بنظره ينقدهُ نقدًا، ونقدَ اليه: اختلس النظر نحوه.."[1] من خلال ما سبق فإن الدلالة اللغوية لكلمة نقد هي تمييز الدراهم الصحيح منها. و مداومة النظر واختلاسه. وتعني أيضا النقر بالإصبع.

ب_ اصطلاحا :

يعرف كانت النقد بأنه: "فحص حر"، أي غير مقيد بمذهب فلسفي... فالنقد قد يكون عملا بريئا في الظاهر، أما في الباطن فهو أداة المجتمع لمراقبة نتاج الفكر والدفاع عن القيم العامة، وأداة الطليعة الاجتماعية لمواجهة القيم السائدة وطرح البدائل الجديدة. ويتميز النقد الأدبي بأن مادته هي عموما الأثر الواحد، و أن منهجه تطبيقي، وأن غايته كشف معنى النص. وهو يقابل الشعرية التي تنكب على نص واحد بل على مجموعة الآثار الأدبية أو على نوع منها، بغية اكتشاف القواسم المشتركة بينها... يكشف النقد النص تدريجيا ونتيجة سلسلة من الأسئلة التي لابد من أن تكون شاملة ..."[2].

فالنقد "ليس علما بل هو تطبيق يستند إلى علم. وهو نظر مركز في نص يدرس تركيبه وترتيبه وعناصره وأسلوبه ومضمونه،ويكتشف الخصوصيات التي تميزه بين أمثاله وهو تفاعل بين ثقافة القارئ وشخصيته من جهة والأثر الفني من جهة أخرى وهو يسمح دائما بتعدد النظر وتطويرها. وتباين النتائج ويكشف غالبا عن معطيات جديدة تساعد على تعميق الشعرية ".[3]

من هذا فإن النقد يتغلغل إلى داخل النص ليدرس جميع عناصره ومضمونه ويكشف خصوصياته، فهو يشكل ثقافة القارئ والأثر الأدبي معا، وبالتالي يبين اختلاف وجهات النظر وتعددها.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص 334. (مادة: ن ق د)

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط 01 ، دار النهار للنشر، لبنان ، 2002 ، ص 169 .

[3] م ن ، ص 170.

كما يعرفه (إبراهيم فتحي) بأنه" تحليل وتقويم متعدد الجوانب مبني على إمعان الفكر ويأتي من كلمة يونانية تعني القاضي فالنقد عملية تزن ونقوم وتحكم،و النقد السديد التقليدي يذكر الصفات الحسنة كما يذكر الصفات السيئة، أي الفضائل والأخطاء ولا يستهدف المديح ولا الإدانة بل يزن نواحي القصور ونواحي الامتياز ثم يصدر حكما يستند إلى اعتبار وتمحيص".[1] ويعني هذا التعريف بأن النقد يعود إلى أصل يوناني وهو القاضي، وهذا اللفظ يشير إلى العدالة وتحيل إلى الاتزان في التعامل مع القضايا والنصوص ثم الحكم عليها بعد التمحيص.

ثالثا– مفهوم الثقافة :

أ_ لغة : جاء في لسان العرب (لابن منظور):

" الثقَّافةُ من الفعل ثَقِفَ، ثَقُفَ الشيء ثَقْفًا و ثُقوفَةَ :حَذَقهُ. ورجلٌ ثِقْفٌ وثَقِفٌ و ثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِمٌ، وأتبعوه فقالوا ثَقْفٌ لَقْفٌ، وقال أبو زياد: رجلٌ ثَقفٌ لَقفٌ رامٍ راوٍ.

اللحيائي: رجل ثَقفٌ لَقفٌ وثَقِفَ لَقِفَ وثَقيفٌ لَقيفٌ بين الثقافة واللقافة. ابن السكيت: رجل ثَقفٌ لَقفٌ اذا كان ضابطا لما يحويه قائما به. ويقال: ثَقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم. ابن دريد: ثَقِفْتُ الشيء حَذَقْتُهُ، وثَقِفْتهُ اذا ظَفرتُ به.

قال الله تعالى :{فَإِمَّا تَثْقفنَّهُم في الحربِ}.

"وثَقُفَ الرجل ثقافةً أي صار حاذقًا خفيفًا مثل ضَخُمَ ، فهو ضَخْمٌ ، ومنه المثاقفة .

ثَقِفَ أيضا ثَقفًا مثل تعبَ تعبًا أي صار حاذقًا فطناً ،ففي حديث الهجر ، وهو غلام لقِنٌ . و ثَقفٌ أي ذو فطنة وذكاء .

وثقِفَ الرجل: ظفر به. وثقفتنا فلانا في موضع كذا أي أخذناه ومصدره الثَقفُ والثِقافُ والثقافة: العمل بالسيف".[2] من خلال هذا التعريف يبين لنا أن الثقافة في اللسان العربي من

[1] ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية ، ط 01 ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين / التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 1998 ،ص 390 .

[2] ابن منظور، لسان العرب، ص 28 .

الجذر اللغوي، ثقف تحمل في طياتها ثلة من المعاني منها الالتزام بالشيء وسرعة فهمه وتعلمه وحذقه، وهي أيضا الفطنة والخفة والذكاء وثبات المعرفة.

وجاء في معجم العين : "ثقف : قال أعرابي: اني لثَقِفٌ لَقْفٌ راوٍ رامٍ شاعر وثَقِفتُ فلانا في موضع كذا، أي : أخذناه ثَقْفًا . وثَقيفٌ حيٌّ من قيسٍ ، وخلٌّ ثقيفٌ قدْ ثقفَ ثقافة. و يقال: خلٌّ ثقيف على قوله: خردلٌ جريفٌ وليس بحسب، والثَّقافُ حديدة تسوى بها الرماح و نحوها، والعدد أثقَفهُ وجمعه، ثقِفَ. والثقْفُ مصدر الثقافة وفعله ثَقفَ اذا لزِمَ. و ثَقفتُ الشيء وهو سرعة تعلمه. وقلب ثَقْفٌ، أي :سريع التعلم والتفهم".[1] وعلى هذا الأساس فإن الجذر اللغوي لثقف في معجم العين تحمل في معناه عدة دلالات فهي الالتزام والرماح والمكان وسرعة التعلم والفهم.

ب_ اصطلاحا :

لقد تعددت وتنوعت التعريفات والمفاهيم للثقافة إلا أن أغلبها انحصرت في معنى واحد، فعلى مستوى الشرف نجد المفكر الجزائري مالك بن نبي يعرفها بأنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".[2]

نستنتج من هذا التعريف أن مالك بن نبي يرى بأن الثقافة عبارة عن قيم ومبادئ، وسلوكات اجتماعية تؤثر في الفرد وتربطه بالمحيط الذي يشكل فيه طباعه وشخصيته.

ويعرفها الناقد الانجليزي إدوارد نابليون في كتابه"الثقافة البدائية" بأنها:" ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاقيات، والقوانين والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع".[3]

---

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي ، معجم العين، ص 204. (مادة: ث ق ف)

[2] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين ، ط 04 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 1984 ، ص 74 .

[3] زيودين ساردار، بورين فان لون، الدراسات الثقافية ، تر : وفاء عبد القادر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، مصر، 2003 ، ص 08 .

نستخلص من هذا التعريف بأن الثقافة عند إدوارد نابليون مرتبطة بالمعرفة والقدرات، والعادات والتقاليد التي يكتسبها الإنسان من محيطه الاجتماعي باعتباره جزء منه.

أما معنى الثقافة في التاريخ فيعرفها مالك بن نبي على أنها :"هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سيمتها الخاصة ويحدد قطبيها من عقلية ابن خلدون، وروحانية الغزالي، أو عقلية (ديكارت) و روحانية (جاك دارك) ".[1]

معنى الثقافة في التاريخ مرتبطة بالعادات والتقاليد والأذواق والعواطف ، وهي كل ما يعطي للحضارة سمة خاصة تميزها عن غيرها.

ويعرفها (كونراد فيليب كوتاك 1987) في كتابه الأنثروبولوجيا الثقافية "إن الثقافة تضم سلوكا محكوما بالقواعد ومشاركا ،ويقوم على الرمز ويتم تعلمه، وكذلك معتقدات يتم نقلها عبر الحضارات على تعليم الصفوة. فالجنس البشري homoله القدرة على الثقف (بالمعنى العام)، إلا أن البشر يعيشون في ثقافات معينة حيث يتم تربيتهم على المقدرة الإنسانية للتعلم الثقافي واستخدام اللغة والرموز. وتشير الثقافات إلى المعتقدات والسلوكيات المعتادة وقواعد السلوك المستوعبة في البشر وذلك من خلال التعلم".[2] من خلال قول كونراد فيليب فإن الثقافة هي سلوك يكتسبه الفرد، فالإنسان من خلال عيشه في وسط ما يكتسب سلوكات ومعتقدات تشكل ثقافته الشخصية، لهذا فأن لكل شخص ثقافة خاصة به.

رابعا– مفهوم النقد الثقافي:

يعد النقد الثقافي من أهم وأحدث التوجهات النقدية التي شهدها العالم الغربي في نهاية القرن الماضي، حيث ظهر هذا كرد فعل في الدعوة للتجديد والدعوة إلى نقد جديد، فظهر إثرها ولادة نقد ثقافي يهتم بدراسة الأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي.

---

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 77 .

[2] أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، تر : وفاء ابراهيم ، رمضان سبسطاويس ، ط 01 ، المجلس الأعلى للثقافة ، الجزيرة ، القاهرة ، مصر، 2003 ، ص 192 .

وقد لامس هذا التجديد أيضا النقد العربي في بداية القرن الحالي، ويعد الناقد (عبد الله الغذامي) أول من استخدم هذا المصطلح في كتابه (النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية) سنة 2000.

حيث ورد في كتابه هذا ما يلي" لقد نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية المنهجية في السسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية، من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي ".[1]

والنقد الثقافي"هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة، وبتعبير آخر هو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن. ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية، ومجازات شكلية موحية بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية...،ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع النص الأدبي الجمالي ليس باعتباره نصا، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية تضمر أكثر ما تعلن، وينتمي هذا النقد إلى ما يسمى بنظرية الأدب على سبيل التدقيق. في حين تنتمي الدراسات الثقافية إلى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، والفلسفة وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى".[2]

من خلال هذا يمكننا القول أنه نقد ينظر إلى الأعمال الأدبية والجمالية على أنها ظاهرة ثقافية، حيث يربط النص بالسياق الثقافي، وبهذا فإنه يتعامل مع هذه النصوص على أنها أنساق ثقافية مضمرة، ويضمر هذا النص في داخله أكثر مما يصرح.وينتمي هذا النوع إلى نظرية الأدب، أما الدراسات الثقافية فتنتمي إلى الحقول المعرفية باختلافها.

ويرى (الغذامي) أن النقد الثقافي" فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية يعنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 31 .

[2] عبد الرحمان عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة و التقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 2005 ، ص229 .

الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، وما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات فإن المطلوب إيجاد نظريات في(القبحيات) لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، وإعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه، و إنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي"[1] فمن أهم سنن النقد الثقافي سعيه إلى الكشف عن الأنساق المضمرة وراء البناء اللغوي التي ساهمت في بناء الخطاب النصي، وهذا البناء يحتوي على التمازج الثقافي في الخطاب، فالنسق المضمر من أهم المفردات التي يقوم عليها النقد الثقافي.

وفي الكتاب الثاني (لعبد الله الغذامي)المعنون ب(نقد ثقافي أم نقد أدبي) بالمشاركة مع الناقد السوري(عبد الله اصطيف)، حاول الغذامي أن يثبت أهمية النقد الثقافي في تعامله مع النصوص والخطابات، فيما يعجز النقد الأدبي عن تحليل مثل هذه النصوص، حيث قال:" نزعم في عرضنا لمشروع النقد الثقافي، أن في الخطاب الأدبي والشعري تحديدا قيما نسقية مضمرة، تتسبب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن ظلت الثقافة العربية تعاني منه على مدى مازال قائما، ظل هذا النسق غير منقود و لا مكشوف بسبب توسله بالجمالي الأدبي، وبسبب عمى النقد الأدبي عن كشفه، مذ انشغل النقد الأدبي بالجمالي و شروطه، أو غيوب الجمالي، ولم ينشغل بالأنساق المضمرة".[2]

يمكننا من خلال ما سبق من تعريفات حول النقد الأدبي، استخلاص أهم خصائص النقد الثقافي:

_" إبعاد الانتقائية المتعالية التي تفصل، بين النخبوي والإنتاج الشعبي فيقوم بدراسة ما هو جمالي، وغير جمالي.

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 84 .

[2] عبد الله الغذامي : عبد النبي اصطيف : نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص 31 .

_ كشف جماليات أخرى في النص لم يلفت إليها من قبل.

_ الدخول إلى عمق النص بدلا من النظرة السطحية.

_ كشف القيم الفضلى والحقيقية للنص.

_ تذوق النص بوصفه قيمة ثقافية لا مجرد قيمة جمالية، وذلك من خلال الكشف عن حقائق تحيط بالنص وقائله.

_ ربط العلوم الإنسانية بالأدب وعلم الاجتماع، علم النفس، التاريخ مما ساهم في إثراء النص والساحة الثقافية.

_ كشف حقائق متعلقة بالنصوص المهمشة من خلال إلقاء الضوء عليها، حيث يهتم هذا النوع من النقد بالأدب السياسي والنسوي ونحو ذلك.

_ تناول النقد الثقافي النسق المضمر في الثقافات المحلية الارتقاء بهاو تسويقها للعالمية".[1]

ويقوم النقد الثقافي عند (ليتش) على ثلاث خصائص هي :

1_" لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات، إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة و إلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطابا أو ظاهرة.

2_من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

3_إن الذي يميز النقد الثقافي ما بعد البنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هني لدى (بارت) و(دريدا) و(فوكو)، خاصة في مقولة دريدا أن لا

[1] قماري يامنة :النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي ،قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ،الجزائر ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، 2013، ص21.

شيء خارج النص، وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي المابعد بنيوي، ومعها مفاتيح التشريح النصوصي كما عند (بارت)، و حفريات (فوكو)".[1]

من خلال ما سبق يتضح لنا أن النقد الثقافي يعتمد على هذه الخصائص في دراسة النصوص، حيث يتجاوز جمالية النصوص، لينفتح على ما هو غير جمالي، مستندا في ذلك على مناهج التحليل العرفية لتأويل النصوص وخلفياتها التاريخية، فالنقد الثقافي يسعى للكشف عن المضمر والجمالي في النصوص.

في نهاية هذا الفصل النظري يمكننا القول أننا قد أزلنا بعض الغموض عن المصطلحات الخاصة بموضوع دراستنا ،حيث تناولنا مفهوم السيرة و السيرة الذاتية و كذلك السيرة الغيرية فهذه المفاهيم تخص نوع الرواية التي قمنا باختيارها ،فهي تصنف الى السير الذاتية، كذلك تحدثنا عن أشهر السير والأنواع القريبة منها، وضعنا أيضا تعريفات للنقد والثقافة والنقد الثقافي، باعتبار أن الجانب التطبيقي سيقوم على استنباط الأنساق مضمرة، واستخراج التعالقات الثقافية التي يضمرها نص الرواية ،فكانت دراستنا في مجال النقد الثقافي ،هذا ما جعلنا نتناول هذه المفاهيم في الجزء النظري .

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية ، ص 32 .

الفصل الثاني:

الأنساق المضمرة في رواية مذكرات امرأة شيعية لرجاء نعمة

تمهيد :

تعد الرواية من الأشكال السردية المثيرة للجدل، وهذا لما تحمله في ثنايا طياتها على العديد من التمثلات التي تختلف باختلاف سارد هذه الأحداث، حيث تشكل الرواية في باطنها مختلف الفوارق؛ فهي نوع أدبي يجمع بين الفن و التجربة الشخصية ، ويختلف السرد فيها، فمنه ما هو شخصي ذاتي و واقعي مرتبط بحياة المؤلف ؛ حيث يحكي فيها المؤلف عن حياته الشخصية و جميع مسارات حياته، ومنها ما هو مرتبط بعنصر الخيال حيث يلعب فيها عنصر التشويق و الاثارة دورا هاما ، فتكون الرواية غير واقعية .

وتعتبر الرواية السير– ذاتية من أهم النصوص التي لابد من تسليط القراءة النقدية عليها لكشف خباياها، حيث أن الرواية النسوية السير ذاتية تحتوي على قضايا اجتماعية تحمل خفايا نسقية، " إن السيرة الأكثر جذبا للقارئ العربي المعاصر لم تعد سيرة الكاتب العربي الرجل، بقدر ما انحرف الانتباه إلى سيرة الكاتبات العربيات؛ اللواتي لم يدّخرن جهدا لعرض الرؤى الشخصية حول ملابسات الواقع الذي ينتمين إليه بعدّهن طرفا فاعلا لا يعتدّ بفعاليته الاجتماعية إلا بمقدار ما تتوافق مع النسق الثقافي المهيمن على الواقع العربي "[1] تلك القضايا التي تطرحها الرواية السير–ذاتية النسوية باختلافها وتنوعها تنعكس بدورها على الروائية، لذلك لابد من تعرية تلك الأنساق والكشف عنها، ورواية "مذكرات امرأة شيعية" لرجاء نعمة[2]. من بين هذه الروايات، التي تضمر في دواخلها أنساقا مختلقة، خاصة النسق الديني لما له من تأثير على حياة المرأة –خاصة– في المجتمعات العربية.

---

[1] – عادل بوديار، الأنساق الثقافية في الرواية السير– ذاتية النسوية (يوميات مطلقة لهيفاء بيطار) أنموذجا، (مقال)، مجلة النص، العدد: 06، المجلد: 03، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2017، ص 06.

[2] - رجاء نعمة: روائية وقاصة وباحثة ولدت في مدينة صور في جبل عامل (جنوب لبنان) تابعت دراستها وحازت على ليسانس في علم الآثار والتاريخ من الجامعة اللبنانية في بيروت عام 1968، كما حازت على الدكتوراه من جامعة السوربون عام 1984، عن دراستها " مأزق الحداثة " في أدب الروائي السوادني " الطيب صالح" وهي دكتوراه في التحليل النفسي للأدب .
عملت كخبيرة في مناهج تعليم وتثقيف وتدريب الكبار ولها العديد من الكتب في هذا المجال ، بالإضافة إلى ذلك فقد نشرت العديد من قصص الأطفال في مجلة العربي الصغير الكويتية في الثمانينيات ،كما كتبت عددا من المقالات في جريدة الحياة .

2_مؤلفاتها :

كتبت في مجال الترجمة والرواية وتعليم الكبار والتحليل الأدبي وأبرز مؤلفاتها:

الأنساق الثقافية المضمرة في رواية "مذكرات امرأة شيعية":

مفهوم النسق لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور: " النَسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نَسقتهُ تنسيقًا، ويخفف، ابن سيده: نَسَقَ الشيء ينسقهُ نسقًا ونَسقهُ نَظمهُ على السواء، و انتَسقَ هو وتَنَاسقَ ،والاسم النَسَقُ، وقد انْسقتُ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنسّقتْ. والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسَقَ لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحد. وروي عن عمر ﷺ، أنه قال: نَاسقُوا بين الحج و العمرة، قال شمر: معنى نَاسَقُوا تابعوا وواتروا " كذلك يقال: "ناسَقَ بين الأمرين أي

- الروايات:

غالب رواياتها تدور في دنيا الحروب وأبطالها تستوحيهم من غالب المعارك ، لذا عرفت رواياتها ضمن روايات أدب الحروب ، مع أن احدى رواياتها منعت من النشر في بعض الدول العربية ،فهي ترفض " الروايات" الفضائحية التي أصبحت موضة كما ترفض روايات صرخات الجسد ومن أبرز رواياتها:

01- طرف الخيط (الرواية) .
02- الصورة في الحلم (رواية) .
03- مريم النور (رواية).
04- حرير صاخب (رواية ممنوعة في بعض البلدان) .
05- فراس وأحلام المدينة (رواية) .
06- هل رأيتم وردة (رواية) .
07- كانت المدن ملونة : رواية وصفت فيها جنون الحرب اللبنانية الأهلية وغطرسة الغزو الإسرائيلي على جنوب لبنان عام 1982.
08- وردة شاه (رواية).

- التحليل الأدبي واللغوي :

01- تحليل لغوي ثقافي لكتب القراءة العربية في لبنان .
02- صراع المقهور مع السلطة : دراسة في التحليل النفسي الثقافي لأدب الطيب صالح .

- تعليم الكبار والتثقيف والتدريب :

01- العمل العادل والقوانين :كتابات ودليل تثقيف العملي .
02- الحياة أفضل : المنهاج الوطني لتعليم الكبار (5 كتب).
03- صحة الشابات والشبان (كتاب ودليل تدريب) .
04- تدريب الدايات : دليل عام لتدريب الدايات في المجتمعات النامية .

العلم نور : (4 كتب ودليل تدريب) في تعليم وتثقيف العمال.

تابع بينهما، وثَغْرٌ نسَقٌ إذا كانت الأنْسَاقُ مستوية. ونَسَقٌ الأسنان: انتظامها في النبتة وحسن تركيبها، والنَسَقُ: العطف على الأول، والفعل كالفعل، وثغْر نسقٌ وخرزٌ نسقٌ أي منتظم، قال (أبو زبيد) :

بِجيدِ ريمٍ كريمٍ زانهُ نسقٌ يكادُ يلهبهِ الياقوتُ إلهابَا

والتَنسيقُ: التنظيمُ. والنَسَقُ: ما جاء من الكلام على نظام واحد، يقال لطّوار الحبل إذا امتد مستويا.. والنسقُ أي على هذا الطوار، والكلام إذا كان مسجعا قيل له نسقٌ حسنٌ، قال (ابن الأعرابي): أنْسقَ الرجلَ إذا تكلم سجعًا والنسقُ: كواكب مصطفة خلف الثريا... ويقال: رأيت نسقًا من الرجال والمتاع أي بعضها إلى جنب بعض. والنسقْ : بالتسكين مصدر نسقتُ الكلامَ إذا عطفت بعضه على بعض، ويقال نَسَقتُ بين الشيئين وناسقتُ"[1] فالنسق عند (ابن منظور) هو انتظام الكلام إلى بعضه البعض، ونظمه على طريق الصواب، والتناسق بين أمرين هو التتابع، وهو التنظيم.

و" نَسَقَ الدّرَ ينسقهُ نسقًا نَظمهُ على السواءِ. والكلام رتّبه وعطف بعضه على بعض على نظم واحد، نَسَّقَ الشيء نظَّمهُ، وناسقَ بينهما تابع وانسق الرجل تكلم سجعا وتنَسقَّت الأشياء وتَناسَقتْ وانتِسقَّتْ انتظمتْ بعضها إلى بعض ،النَسقَ ما جاء من الكلام على نظام واحدو ومن الثغورُ المستويةِ ومن الخَرز المنظّمِ .

يقال ثغرٌ نسقٌ ودُرٌ نَسقٌ . والنسقُ من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد وهو عام. يقال جاءت القوم والخيل نَسَقًا. وغرست النخل نَسَقًا والنَسَقُ أيضا كواكب الجوزاء وهي النسقُ بضمتين. والنسقان كوكبان يبتدئان من قرب الفكة إحداهما يمان والآخر شام "[2]

كذلك ورد في المعجم "وعَطفُ النسقِ عند النحاة ما كان بالواو أو إحدى أخواتها، وحروف النَسقِ والنَسَقِ أي حروف العطف ويقولون هذا نَسقٌ على هذا ، أي معطوف عليه، وصف بالمصدر، التنسيقُ المنسوقُ ،والتنسيقُ مصدر نسقَ وتنسيقُ الصفات في صنعة

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص 247 .(مادة: ن س ق)

[2] بطرس البستاني، محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، لبنان، 1997 ، ص 891

البديع هو ذكر الشيء بصفات متوالية مدحا كان نحو هو الغفور الودودِ ذو العرشِ المجيدِ فعال لما يريد أو ذمّا نحو هو الفاجرُ الفاسقُ اللعينُ السارقُ". [1]

من خلال ما سبق من تعريف للنسق في قاموس محيط المحيط يتضح لنا أن النسق يعني نظم الكلام بعضه على بعض، و التتابع، و النسق ما كان على نظام واحد،وحروف النسق حروف العطف، وتنسيق الصفات هو ذكر الصفات متتالية سواء بالمدح أو الذم.

يعرفه (إديث كريزويل) بأنه: "نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدا، تقترن كليته بآنية علاقاته، التي لا قيمة للأجزاء خارجها .وكان (دو سوسير) يعني بالنسق شيئا قريبا جدا من مفهوم البنية". [2]

نستنتج من هذا التعريف بأن النسق هو نظام بنيوي يربط بين مجموعة من العناصر ويعطيها أهمية واضحة.

أما الناقدة اللبنانية (يمنى العيد) تعرف النسق في كتابها (تقنيات السرد الروائي) بأنه:"ما يتولد إدراج الجزئيات في السياق، أو هو بنيويا ما يتولد عن حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية، باعتبار أن لهذه الرواية نسقا الذي يولدن توالي الأفعال فيها، أو أن العناصر المكونة لهذه اللوحة من الخطوط والألوان تتألف وفق نسق خاص بها". [3]

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن النسق هو عبارة عن نظام أو علاقة رابطة بين جزئيات النص الروائي، وهو مجموعة من الألوان والخطوط المترابطة في شكل موحد.

يعرف (عبد الله الغذامي) النسق على أنه كلمة مرادفة لمعنى (البنية stucture) أو معنى (النظام system) حسب مصطلح (دي سوسير)، وهو يكتسب فيها دلالية وسمات اصطلاحية خاصة، فيحدد فيما يلي:" يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، و الوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو

---

[1] م ن ،ص 891 .

[2] إديث كريزويل، عصر البنيوية من لفي ستراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط 01 ، دار سعاد الصباح، الكويت ، 1993، ص 415 .

[3] يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في المنهج البنيوي ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 194 .

نظامان من أنظمة الخطاب احدهما ظاهر والآخر مضمر،ويكون ذلك في نص واحد،أو في ما هو في حكم النص الواحد، ويشترط في النص أن يكون جمالين يكون جماهيريا".[1]

من خلال هذا التعريف يتضح أن النسق هو بنية ونظام يتسم بوظيفة متغيرة وغير ثابتة تحمل التناقضات التي تقومه وتجسده في شكله الحقيقي، والشروط التي تميزه في النص الأدبي وهو يستبعد الرديء عبر شرطي الجمالي والجماهيري الموجه له.

أما المضمر فقد جاء تعريفه في لسان العرب "تضَّمرَ وجهُهُ: انضمت جلدته من الهزال. والضَميرُ: السر وداخل الخاطر والجمع ضمائرٌ. الليثُ: الضمير: الشيء الذي تضمره في قلبك، تقول: أضمرتُ صرفَ الحرفِ اذا كان متحركا فأسكنه، وأضمرتُ في نفسي شيئا، والاسم الضميرُ والجمعُ الضمائر، والمضْمَرُ: الموضع والمفعول وقال (الأحوَصُ بن مُحَّد الأنصاري): سَيبقَى لهَا في مُضْمرِ القلبِ و الحَشَا سَرِيرَةً وُدٍّ ، يوم تبلى السرائر ...

وأضْمَره الشيء أخفيته، وهوّى مُضمر وضَمَر كأنه اعتقد مصدرا على حذف الزيادة: مخفيّ، قال طريح: بهِ ذخيلُ هَوَى ضَمْر، إذا ذكرتْ * سَلمى لهُ جَاشَ في الأحْشاءِ والنهبِ"[2]

" وأضْمرتُه الأرضَ: غَيّبتهُ إما بموت وإما بسفر ، قال (الأعشى) :

أرانَا، اذاَ أضْمرتْكَ البِلا ردُ، تَجفَى و تقطَّع منا الرَحِم

حتى يصير مُتْفاعلنْ البلاد، والإضمارُ: سكون التاء من متفاعلن في الكامل حتى يصير متفاعلن، وهذا بناء غير معقول فنقل، إلى بناءٍ مَقْول، معقول ، وهو مستفعلن

وإنما قيل له مضْمرٌ لأن حركته كالمضْمرِ، ان شئتَ جئْتَ بها وإن شئتَ لم تأتِ بها".[3]

من خلال هذا التعريف اللغوي لمصطلح "مضمر" فإن هذا المصطلح يحمل دلالة: الخفاء والإضمار، ويعني الغياب بموت أو سفر .

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ط 03 ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، بيروت ، 2005 ، ص 77 .

[2] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 09 ، ص 61. (مادة: ض م ر)

[3] م ،ن ،ص 62.

أما الأنساق المضمرة فيمكن أن نفهمها من خلال ما أقره بشأنها النقاد العرب نقلا عن النقاد الغربيين الذين كانوا الأسبق إلى ممارسة النقد الثقافي، وبالتالي إلى الكشف عن الأنساق المضمرة للنصوص ، و"ينطوي الخطاب على بعدين أحدهما مضمر ولا شعوري، ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ، هو مضمر نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد، ولكنه ما إن وجد عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصرا نسقيا يتلبس الخطاب ورعيه الخطاب من مؤلفين وقراء، والكشف المنهجي عنه يتطلب أدوات خاصة تأتي التورية في مقدمتها، لكن بمعنى التورية الثقافية أي حدوث ازدواج دلالي أحد طرفيه عميق ومضمر، وهو أكثر فاعلية وتأثيرا من ذلك الوعي ..."[1]

وقد حظي مصطلح النسق المضمر بأهمية كبيرة في ميدان النقد الحديث، فموضوع النسق المغلق والنسق المفتوح كانا محل نقاش منذ الشكلانيين الروس إلى البنيويين هل يدرس الخطاب بمعزل عن الظواهر الخارجية أم لابد من ربط الخطاب؟ "والنص الإبداعي بدوره يحيل إلى نسق وسياق، النسق مرتبط بالتشكل عبر التراكم التاريخي لمختلف الأفكار، وهذا التشكل يحدث خلال السياقات وتكون هذه السياقات مرتبطة ومتعلقة بأنساق قيمية وثقافية و " النسق المضمر لا يكون وعيا يتمظهر عبر خطاب فاعل ولغة تؤطر خطاب الفاعل أيضا، بل هو ممارسة لها خصوصياتها من التغلغل و التأثير والهيمنة في غفلة الذات".[2]

يظهر لنا من خلال ما سبق أن النسق يتشكل في لا وعي المبدع، فيكون في عمق ثقافته وذهنه،ويسير معه سويا، فالكاتب عندما يكتب نصه الإبداعي لا يشعر بهيمنة هذه الأنساق أو تواجدها، إنما هي تتكون في ذهنه في لحظة تكون فيها الذات المبدعة غافلة عن ذلك.

وبما أن النسق يتشكل في لحظة اللاوعي فإنه يمتاز بالتغير والاختلاف ويكون غير ثابت، يقول (عبد الفتاح يوسف) :" فلا يحتم علينا ذلك إغفال حركيته و تحولاته وانتظامه

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط04، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،2008، ص 71.

[2] عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009، ص87.

الداخلي، فهولا يفقد أساسه الجوهري ولكنه يمتلك مرونة التحولات ويستجيب لمقتضى المتغيرات فيتكيف معها دون أن يتلاشى جوهره".[1]

وقد حدد الغذامي شروطا للنسق المضمر كالتالي:

_ "وجود نسقين يحدثان معا في آن واحد، في نص واحد، أو فيما هو حكم النص الواحد.

_ يكون أحدهما مضمرا و الآخر علنيا، و يكون المضمر نقيضا وناسخا للمعلن، فمجال النقد الثقافي هو كشف الأنساق المضمرة الناسخة للعلني.

_ لابد أن يكون النص ذا قبول جماهيري ، ويحظى بمقروئية عريضة و ذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي و الثقافي".[2]

فعبد الله الغذامي اشترط في النسق المضمر أن يتواجد نسقان في آن واحد معا و في نص واحد ، أحدهما مضمر و الآخر صريح ، ويكون المضمر نقيضا للمعلن.

1-النسق الديني في الرواية:

تعتبر مسألة الدين من المسائل الشائكة في المجتمعات العربية و هذا لما يشغله الدين من أهمية بالغة في هذه المجتمعات، حيث يمارس الناس باختلاف دياناتهم و طوائفهم بعد الشعائر والطقوس الروحية، التي تعبر عن كل فئة وكل طائفة ،فلكل طائفة من هذه الطوائف طقوسها الخاصة في الدين الإسلامي. كما تتعدد؛ فمنها الطائفية السنية ومنها الشيعية و...

يقول في هذا الصدد (فضيل حضري) :" لقد ظل الدين بكل جوانبه مبحثا يثير انشغالات الباحثين و المفكرين منذ القديم، حيث عكفوا على محاولة تفسيره و فهم عناصره، وكشف بداياته ونشأته ورصد أبعاده وحدوده بالرغم من أن المجتمعات الحديثة قد وقفت من الدين مواقف شتى، إلا أن بقاءه ودوامه على هرم القضايا الهامة والمسائل البارزة المطروحة في كل المجالات السياسية منها والعلمية والاقتصادية ... وغيرها يثبت مكانة الدين وأهميته في

[1] عبد الفتاح أحمد يوسف، القراءة النسقية (سلطة البنية ووهم المحايثة)، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص122.

[2] عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ط01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004، ص32.

ماضي البشرية وحاضرها، و قد كان الدين في السابق المصدر الأساس للقانون، والذي هو وسيلة ضبط مهمة المجتمع، فالقانون المصري وكذلك البابلي والهندي واليوناني. كان ينظر إليها على أنها من صنع الآلهة، وكان ومازال يستشار رجل الدين في أمور المجتمع والسياسية والاجتماعية".[1]

والدين حسب تعريف التهاوني هو: "وضع إلاهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الإصلاح في الحال والفلاح والمال، وهذا يشمل العقائد والأعمال ، ويطلق على ملة كل نبي و قد يخص بالإسلام كما في **قولة تعالى : {إنَّ الدِينَ عِندَ الله الإسْلاَم }** آل عمران، الآية19.

ويضاف إلى الله عز وجل لصدوره عنه، وإلى النبي لظهوره منه وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له ".[2]

من خلال هذا التعريف يمكننا القول إن الدين يمثل العقائد والعادات التي ترشد إلى الحث على الخير في السلوك والتعاملات، والدين يضم العقائد والطوائف باختلافها، وقد احتوت رواية مذكرات امرأة شيعية على جملة من الأنساق الدينية التي سنعرضها فيما يلي وفق ثلاث مراحل .

أ-الأعراف الاجتماعية وعلاقتها بالدين:

- **الأعراف:**

ورد في لسان العرب " الأعرافُ في اللغة جمع عُرف وهو كل عالٍ مرتفعٍ، قال الزجاج: الأعراف أعالي السور، قال بعض المفسرين: الأعْرافُ أعالي سُور بين أهل الجنة وأهل النار، واختلف في أصحاب الأعراف فقيل: هم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فلم يستحقوا الجنة بالحسنات ولا النار بالسيئات... و العَرَفَةُ: قرحة تظهر في بياض الكف، وقد عرف وهو

[1] فضيل حضري، مستويات الدين و أشكال التدين ، مجلة الواحات و البحوث و الدراسات ، المركز الجامعي ، غرداية، الجزائر، العدد 14 ، 2001 ، ص 178 .

[2] التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان، 1996 ، ص 814.

معروف: أصابته العُرفَةُ. والعُرفُ: شجر الأتْرُج. والعُرفُ النخل إذا بلغ الإطعام، وقيل: النخلة أول ما تطعم. والعُرْفُ و العُرَفُ: ضرب من النخل بالبحرين. والأعراف: ضرب من النخل أيضا، وهو البُرْسُوم، و أنشد بعضهم:

نغرسُ فيهَا الزَّادَ و الأعْرافَا و النائِحي مسْدفًا اسْرافًا ".[1]

فالعرف من خلال هذا التعريف اللغوي يفيد دلالة :

_ المكان العالي.

_ هو الشيء المعروف و المتداول بين الناس.

_ النخل إذا بلغ الإطعام.

_ الحرث و الضرب من النخل.

والعرف custom "هو المعنى المعتاد للاستعمالات الجارية والعادات والتقاليد عندما تتضمن حكما بأنها تؤدي إلى رفاهية المجتمع ومصلحته العامة، وأنها تمارس إلزاما على الفرد لكي يطيعها ويكون سلوكه مطابقا لها على الرغم من أنها غير مفروضة عليه من سلطة رسمية معينة.

ومعنى هذا أن العرف هو العادات التي أضيفت إلى معناها ما بين فلسفة الجماعة وما يضمن مصلحتها ورفاهيتها، فكلما كانت الممارسات والاستعمالات متبعة إتباعا غير مرتبط بفكرة المصلحة العامة ورفاهية المجتمع. أو فكرة الواجب و ضغطه، فإنها تكون من فئة العادات، ولكن بمجرد أن نرى أن هناك علاقة وثيقة بين عادة أو ممارسة ما وبين إسهامها في المصلحة العامة للجماعة، فإنها تصبح ذات قيمة معيارية، وبذلك تصبح عرفا واجب الاتباع ".[2]

[1] ابن منظور، لسان العرب ، ص 113. (مادة: ع ر ف)

[2] فايزة أنور شكري : القيم الأخلاقية ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، جمهورية مصر العربية ، 2011 ، ص 301 .

والعرف" قوة من القوى التي يقوم عليها النظام الاجتماعي كقوة العقيدة، قوة الرأي، وقوة العمل وغير ذلك من القوى الاجتماعية. والقرآن الكريم يحدثنا عن قوة العرف في **قوله تعالى :{ إنَّا وَجَدنَا آباءنَا عَلى أُمةٍ وَ إنا عَلى آثَارهم مُقتَدُون (32) قُل أَولَوْ جِئتُكم بأَهْدَى مِما وَجَدتُم عَليهِ آبَائَكُم قَالُوا إنَّا بمَا أَرْسَلتُم بهِ كَافِرون }** . الزخرف 23 ، 24 .[1]

نستنتج إذا من هذا التعريف أن العرف من أهم مقومات المجتمع ونظامه وهو نوع من العادات أو الشيء المعتاد الاستعمال، ودوره إضافة مصلحة ما إلى المجتمع ،فإذا كانت الاستعمالات غير مرتبطة بالمصلحة العامة فهو بذلك عادات أما إذا كانت مسهمة في المصلحة العامة فإنه يصبح ذا قيمة معيارية.

تتناول هذه الرواية جانبا من الدين، ويبدو هذا واضحا من خلال العنوان الذي اختاره الكاتبة " مذكرات امرأة شيعية "،حيث يتعلق النسق الديني فيها بالطائفة الشيعية؛ حيث أن هذه الفئة تنتشر في أواسط المجتمعات الإسلامية، فليس كل من في المجتمع الذي تنتمي إليه الكاتبة مسلما، بل هناك انقسامات متعددة، منهم المسيح ومنهم الشيعة ومنهم السنة.

يعكس لنا العنوان مجاهرة من الكاتبة رجاء نعمة بطبيعة الهوية الدينية، حيث أنها اختارت هذا العنوان ليكون بداية لحديث مسهب عن الطائفة الشيعية، لتبرز أهم ما جاء فيها وأهم الأعراف التي كانت تميز المجتمعات الإسلامية والشيعية خصوصا، كما أن الكاتبة تحدثت في جانب معين عن المسيح وعن السنة "في صغري، كان يخيل إلي أن الناس جميعا شيعة ! جميعا ما عدا قلة من السكان تقيم في " حارة المسيحيين " في صور نساؤهم يعلقن الأيقونات في رقابهم والصلبان في بيوتهن..."[2] في هذا المقتطف من الرواية تناولت الكاتبة رجاء نعمة الحديث عن المسيح الذين يقطنون في منطقة تسمى بحارة المسيح في "صور"، حيث تتميز النساء المسيحيات بتعليق الأيقونات في رقابهم، والصلبان في بيوتهم، وهذا يدل

[1] فايزة انور شكري: القيم الأخلاقية، ص 301 .

[2] رجاء نعمة، مذكرات امرأة شيعية (رواية)، ط 01 ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان ، 2013 ، ص 15 .

على ديانتهم، فالصليب يرمز للمسيح وهو بذلك يشير إلى الديانة التي يدينون بها، كما تشير الأيقونة للسيد المسيح، حيث تصنع بأساليب محددة تخدم أغراض العبادة في الديانة المسيحية وتكون عبارة عن رسم أو تصوير يمثل شيئا ذا أهمية كبيرة و يمثل في الديانة المسيحية والكنائس المسيحية شخصية أو غرضا مقدسا مثل المسيح، مريم العذراء، الملائكة أو الصليب، وتنحت الأيقونات من حجر، وقد تكون مطبوعة على ورق أو معدن، و قد تطرز في قماش أيضا.

وبهذا فإن الأيقونة والصليب يقترنان بموقف ديني عند المسيح و يمثل هذا دينهم و عرفهم المتوارث، والموجود في جميع العائلات التي تعتنق المسيحية .

كما تقول أيضا "وتذكر جدتي أن مسيحيات جيلها كن في مدينة صور محجبات أيضا، ولكن بلباس خاص هو"الإزار"، يغطيهن كاملا من الرأس حتى القدمين وقلما كن يكشف وجوههن، كان "الإزار" أزرق اللون على الأرجح، تيمنا بملابس السيدة العذراء في الأيقونات*، ولفترة طويلة بعد ذلك، كن يضعن منديلا على الرأس، لاسيما في ذهابهن إلى الكنيسة، جدتي في تشجيعها لي على لبس " الإشارب "، كانت تقول : يا بنيتي الخوري طلب إلى بنات الكنيسة أن يضعن أيقونة أو صليبا، وإلا فكيف يمكن لعازب مقبل على الزواج أن يعرف ديانة فتاة قابلها وأعجبته ؟!، في مذكراتها " جدتي، أمي وأنا " تشير صديقتي (جين سعيد مقدسي) ، إلى أن مسيحيات فلسطين كن في القرن التاسع عشر والعقود الأولى من العشرين، محجبات بالزي الأسود عينه الذي تلبسه المسلمات في مدينتها "الناصرة" كثيرات منهمن، حتى سنوات الأربعينيات من القرن العشرين كن يلبسنه في "الظهور".[1]

[1]- الرواية، ص 180 .

*أيقونة : صورة أو تمثال مصغر لشخصية دينية ، يقصد بها التبرك و هي تعريب لكلمة يونانية تعني صورة ، أو مثال ، تصنع وفق أساليب محددة و بالنظر لاعتبارات لاهوتية معينة ، تخدم أغراض العبادة ، وتعني أيضا صورة القديس عند المسيحيين أو تمثال لشخصية دينية تتمتع بالقداسة .

يشير هذا القول من الرواية إلى أن المسيحيات في العصور القديمة كن يرتدين لباسا خاصا يسمى ب"الإزار" لونه أزرق يحيل إلى ديانتهم وتيمنا بالسيدة مريم العذراء، كما كن يضعن منديلا على الرأس أثناء ذهابهن إلى الكنيسة لأداء عباداتهن.

كما أن المسيحيات تضيف (رجاء نعمة) على لسان صديقتها (جين سعيد) كن محجبات باللباس الأسود الذي يميزهن في أربعينيات القرن العشرين. فاللباس هنا سواء الأسود أو الأزرق والمنديل الذي يوضع على الرأس عند الذهاب إلى الكنيسة، يعتبر عرفا اجتماعيا سائدا عند المسيحيين، ويتميزون به عن سائر الديانات الأخرى، فلهذا اللباس دلالة على الديانة المسيحية.

وفي حديث الروائية عن طفولتها عندما انتقلت إلى المدرسة الداخلية التقت بمجموعة من الفتيات كل واحدة منهم جاءت من منطقة معينة تختلف عل الأخرى من أجل متابعة التعليم. تروي (رجاء نعمة) عن هذه المدرسة الداخلية وعن المشرفات عليهن فتقول: "قاعة النوم شديدة الاتساع، لعلها، طولا، تجاوز الخمسين مترا لتتسع لعشرات الأسرة، كان للقسم الداخلي غرف قليلة وقاعتان كبيرتان، إحداهما التي ننام فيها نحن، ومعنا اثنتان من الراهبات. بعد صلاة العشاء، كانت كل منهما تنسحب إلى ما يمكنها تسميته بغرفتها، غرفتان من قماش شديد البياض، قائمتان في طرفي القاعة تؤكد خامتهما الصفة العابرة الزائلة للبشر، ولهؤلاء الزاهدات بالدنيا المتفانيات في خدمة الرب وعباده ثابتان إحداهما "متدربة" في العشرين، والأخرى "مرسومة" في الثلاثين تستبدلان بملبسهما النهاري الأسود، آخر أبيض فضفاضا طويلا، وتخرجان علينا به، تتمشيان بين الأسرة تتلوان الصلاة. ثم ترجع كل واحدة منهما إلى غرفتها. وبطبيعة الحال، يعد يوم طويل من العمل، تغط الواحدة منهما في سبات عميق، فيما الفتيات يحاولن الخلود إلى النوم.

وتقول "الراهبات كن أيضا محجبات بالأسود، بزي يشبه حجاب سيدتنا "مريم العذراء" لكنه أسود في هذا الزي الذي يغلف كامل جسدها والقماط الذي يشد على جانبي وجهها وفوقه "رفراف" مثل "الأكورديون"...يخيل لك أن الواحدة منهن، تتحجب، لا إزاء الآخرين فحسب، بل إزاء نفسها أيضا. وهذا من شأنه الفصل بين الجسد و الفكرة

عنه..."."[1] فالراهبات أيضا مسيحيات يتميزن بلباس أسود، يشبه لباس سيدتنا مريم، و قماط يشد طرفا الوجه فوقه رفراف.

فكل ديانة لها خصائص وظواهر وشعائر تميزها عن غيرها من الديانات الأخرى، فهذه الديانة كما يبدو في الرواية لها أتباع كثر في المجتمعات العربية، وفي لبنان خاصة، وما سبق من الأمثلة كان دليلا عن وجودها في لبنان بوصف من الكاتبة، رجاء نعمة.

فوراء كل هذه الأعراف الاجتماعية الموجودة في الدين المسيحي نسق مضمر تعود خلفيته إلى شيء ما، فخلف هذا اللباس والقماط، الزي الأسود أو الأزرق، الأيقونات، الصليب وغيرهم، هناك مرجعية وهي أن من يقوم بمثل هذه الأشياء فهو يعتنق الدين المسيحي.

أما في إطار الحديث عن الدين الإسلامي وطائفة الشيعة خصوصا، فالراوية رجاء نعمة من أصول لبنانية مسلمة شيعية يسارية من مدينة "صور" وهي المدينة التي احتوت على عدد كبير من الشيعة فيما كان السنيون والمسيح قلة قليلة ، إضافة إلى اليهود "... في صغري كان يخيل إلى أن الناس جميعا شيعة ! جميعا ما عدا قلة من السكان تقيم في "حارة المسيحيين" في صور نساؤهم يعلقن الأيقونات في رقابهم والصلبان في بيوتهن. وهناك قلة أخرى، لهم لكنة خاصة في الكلام ، يسكنون في حي المصاورة يقال عنهم سنة".[2]

نشأت الكاتبة في بيئة تسودها الطقوس الشيعية، وأسرة شيعية وأصل شيعي. وكان من السائد في هذه المجتمعات هو اللباس الأسود الذي تتدثر به النساء في لبنان قديما من الرأس إلى الكاحل، والذي يسمى (الإيشارب) فمن المعروف عن الشيعة أن النساء يرتدين هذه الأزياء للدلالة عن دياناتهن وانتماءهن الشيعي، تقول الكاتبة "...في لبنان كان هذا الزي يعرف ب "الملاية الزم" وكان منتشرا في مدن بلاد الشام و تركيا و اليمن. وعديله العباءة السوداء في العراق، وتلك الأقل منها تزمتا في مصر، و الشادور في إيران، يتميز "التركي" بالتعقيد، فهو يتكون من عدة طبقات، تغطي كل واحدة منها طبقة تحتها: على

[1] الرواية ، ص 252.

[2] الرواية ، ص 15 .

الوجه منديل ينزل مغطيا العنف. على الرأس غطاء تشده "قمطة" ينزل على كاب ويغطي الكتفين والظهر تحت الكاب "تنورة زم" تلف على الخصر برباط وتصل حتى الكاحل وبطبيعة الحال يغلف الزي الأسود كامل الملابس العادية التي ترتديها النساء في زيارات بعد الظهر، واذا ما اطمأنن إلى خلو المكان من الرجال. يخلعن الأسود في المنزل المضيف، ويظهرن بملابس ملونة وشعر جميل. بعد انتهاء الزيارة ينهضن ويلبسن. يتوارين خلفه فتتوحد التقاسيم".[1]

يمثل الزي التركي عرفا اجتماعيا متعارفا عليه بين الشيعة، حيث يخفي هذا اللباس تقاسيم جسم المرأة، ولا يظهر منها شيئا، فهو متكون من عدة طبقات تخفي تقاسيم المرأة، شابه نوعا ما لباس المسيحيات. حيث أن هذا النسق جعل من المرأة موضع اهتمام لدى الشيعة، لأنه من المعروف أن المسلمين يرتدون لباسا يغطي ملامح المرأة، ويجعلها متفردة عن غيرها من الديانات الأخرى وكان هذا النساء يمثل فخرا للنساء سابقا، لأنه لباس محتشم ارتدينه قديم النساء الذين ينتمين إلى الطبقات الوسطى والعليا، ثم انتشر بعدها ليشمل جميع النساء وخاصة من الطبقة الفقيرة.

تكلمت الكاتبة عن تطور الحجاب من الحجاب التركي والملاية، اللباس السائد في فترة زمنية ما، وارتباطه الوثيق بالدين إلى التمرد عليه والثورة على هذا الحجاب ورغبة النساء في التحرر منه؛ فحرية المرأة كانت مقيدة فلم تعهد الديانة الإسلامية قديما خروجا عن هذه التعاليم، كما لم تعهد أن هناك امرأة خرجت من منزلها مكشوفة الجسم أو الشعر، فقد كانت النسوة كلهن يرتدين اللباس الأسود مخفين بذلك ملامحهن ووجوههن، لكن سرعان ما انقلب الوضع و مع الاحتكاك بالأجانب والدول الأوروبية إلى نسق الحرية و التعالي و الرغبة في الخروج عن هذه التعاليم و التمتع بالحياة، يصحب هذا التغيير الحق في اتخاذ القرارات، وإذا كانت المرأة ترغب في ارتداء الحجاب أو خلعه. هذا الموروث الذي ساد فترة طويلة لامسه التغيير، فبدأت مدينة لبنان تخرج من التقوقع الذي كانت تعيشه، وهذا كله يعود إلى الازدهار الثقافي والاقتصادي، فصارت النساء كما الرجال يذهبن إلى المقاهي وإلى الشواطئ، إلى

[1] الرواية ، ص 178 ، 179.

الأسواق و مشاركة الرجال في نفس الأعمال، فأصبح للمرأة حقوقا شأنها شأن الرجل، تقول الكاتبة في هذا الصدد "... بدأت الإناث بارتياد الشواطئ. بعضهن يرتدنه في السر بعيدا عن عيون ذويهن، يلبسن المايوه ويمضين ساعات على "البلاج" أخو سمية مر بجانبها على الشاطئ فلم ينتبه لوجودها، كيف له أن ينتبه وما رآها من قبل بالمايوه وبنظارات كبيرة تغطي نصف وجهها الذي تتكفل القبعة الواسعة بتمويه نصفه الآخر؟ ".[1]

في القرن العشرين أصبع خلع الحجاب موضة، فتراجع ارتداءه في الوسط الإسلامي، وكانت عائلة رجاء نعمة سباقة إلى هذا، وصارت كل من تتزوج من المدينة يطلب منها خلع الحجاب، أو يكون بمثابة شرط "... لو غبت عن المدينة في تلك الفترة سنوات قلائل، وعدت اليها، لظننت نفسك في مدينة أخرى استبدلت فيها الشابات بالإشارب "الميني جوب" و بالكم الطويل "الجابونيز" ما عادت المفاضلة بين سافرة ومحجبة ، بل بين من تلبس بأكمام أو بلا أكمام ...".[2]

تقول كذلك "شقيقاتي كن سباقات إلى نزع الحجاب، والاستمتاع بنتائج ذلك، صرن يصحبن أزواجهن، كاشفات. إلى الحفلات الساهرة في مدن الاصطياف وبيروت. حفلات كانت فيما مضى، وبالنسبة إلى أهل مدينتنا، وقف على رجالها في نجاحنا بالباكالوريا. دعانا زوج أختي إلى "كازينو المعاملتين" لمشاهدة فرقة راقصة مثيلة التي تعرض في "المولان روج" في باريس، الصور التذكارية تظهر المراهقات الناجحات بفساتين أكمامها "جابونيز" وأختهن، صاحبة الدعوة تموه "الجابونيز" بشال. لن يلبث الشال أن يسقط على المقعد، فلا تهتم ولا أحد ينتبه لسقوطه. قصرت التنانير حتلا بدت مثل الشورت...".[3]

ففي هذا المثال يظهر نسق التمرد على السلطة والمجتمع والدين على وجه الخصوص، فالحجاب كان من تقاليد وعادات المجتمعات الإسلامية والشيعية، و المرأة حاولت تجاوز هذه العادات، في نسق التمرد و الحرية، كما يتضح من خلال ما سبق أن نسق التمرد جاء وليد

[1] الرواية ، ص 207 .
[2] الرواية ، ص 204 .
[3] الرواية ، ص 205 .

ثقافة منفتحة، فانفتاح وازدهار هذه المنطقة، جلب معه تحررا في النواحي الاجتماعية فصار خلع الحجاب موضة، وأصبح عند البعض شرطا من شروط الزوج على الزوجة.

نسق التحرر ساد في هذه الرواية ، فقديما كان الحجاب رمزا للهوية فيما أصبح حديثا لا يعني شيئا ، وزالت هذه السلطة و رغم أن الدين الإسلامي و المجتمعات الإسلامية كانت تفرض على النساء ارتداء الحجاب إلا أن المرأة واجهت هذه السلطة وهذه الأعراف، وسعت جاهدة إلى التخلص من هذا والكاتبة بدورها تحبذ فكرة خلع الحجاب بل وتمقته وتمقت النساء اللواتي يقبعن في المنازل، وتحبذ وتشجع المرأة المتحررة التي لا تحب العمل في المنزل فقط بل أكثر من ذلك، وترى في التحرر والخروج من قوقعة التقاليد رمزا للهوية عكس ما كان عليه الحجاب سابقا.

تحدثت الكاتبة بإسهاب عن ظاهرة "عاشوراء" لدى الشيعة فهذه الظاهرة لها مغزى كبير في نفوس القائمين بها ، كما تقول رجاء نعمة لها مغزى يتجاوز الفلكلور ويستدعي هذا اهتمام الباحثين حديثا، فهذه الظاهرة تعود إلى أكثر من ألف عام. يصاحب هذه الظاهرة إيذاء للنفس، حيث تجتمع النساء في منزل إحداهن وتكون هذه الطقوس مرة في كل عام تمتد طيلة عشرة أيام، تسبق هذه العشرة أيام أخرى للاستعداد و تليها ثلاثة أيام توابع حداد. تقول الكاتبة " في صغري كان يخيل لي أن إحياء طقس عاشوراء يقتصر على النساء هؤلاء، متشحات بالأسود، يجتمعن في منزل إحداهن و يقمن المجلس من أكثر تلك المجالس شهرة ، المجلس الذي كرسته خالتي الكبرى (لطيفة) لخدمة أهل البيت عليهم السلام. لم يكن لديها أولاد كنا نحن أولادها وأهل البيت عائلتها. كان صالونها الشرقي الواسع يكتظ كل عام طيلة عشرة أيام، بالمتحمسات لإحياء الذكرى تسبقها بضعة أيام من الاستعدادات، و تليها ثلاثة أيام توابع حداد، يطلق عليها تعبير حرق الخيام".[1]

ظاهرة إحياء عاشوراء عند الشيعة أو عزاء كربلاء تقوم به النسوة كما الرجال إيمانا منهم بأنهم بإحياء هذه الذكرى، وإيذائهم لأنفسهم حتى يحسوا بالألم الذي أحس به الحسين قبل آلاف السنين. تبدأ من أول محرم إلى العاشر من نفس الشهر، توزع خلال هذه الفترة

[1] الرواية، ص 287

الكعك والحلوى والهريسة، فيما يحتفل آخرون بارتداء الملابس السوداء وآخرون يضربون أنفسهم على الصدر والظهر. وهذه الظاهرة تحمل دلالة ونسقا مضمرا وهي أنهم بممارستهم لهذه الطقوس يخول لهم أنهم سيحسون بنفس الألم أو أنهم لن يسامحوا أنفسهم على ما حدث للحسين رضوان الله عليه، كما أنها تعبر عن شدة تأثر الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

تقول رجاء نعمة "كل يوم من أيام عاشوراء ، تختار المقرئة فصلا من فصول المعركة التي دعا فيها أهل الكوفة الحسين لمبايعته خليفة للمسلمين، ضد يزيد ، وفي ساعة المواجهة على أرض كربلاء، خذلوه غير أنهم، حين رأوا ما صار اليه حفيد رسولهم الأعظم وأهل بيته. استفظعوا تخاذلهم، فصاروا يلطمون و يضربون أنفسهم حسرة وندما. كانت تلك نشأة طقس العزاء وفيه نرى الحسين يتهيأ هو ومناصروه للسفر. ووجهته كربلاء...".[1]

"ستنسحب قارئة السيرة بخفوت، والحاضرات ينتحبن بخفوت أيضا، ليشد نحيبهن كلما اقتربت الواقعة التي يعرفن فصولها، سيعلو بكاؤهن. أم مصطفى ستضرب صدرها بكفيها، ومثلها أخريات يضربن الأكف على الصدور في إيقاع منتظم، وحاد يشعرك بانسلاخ الجلد عن اللحم، فالحسين قد وصل سيلتحم الفريقان ذاك الالتحام الذي لا تنفع معه بطولة الأبطال، فالشهادة تنتظر صاحبها في أرض الدم و العطش. ستقطع الماء كما رؤوس الرجال".[2]

يظهر من خلال هذا أن هذه الظاهرة لها تأثير بالغ في نفوس الشيعة، هذا لما حل بحفيد الرسول الحسين، حين غدروه و قتلوه، فلم يسامح الشيعة نفسهم على هذا فظلت ذكرى وفاته تشغل حيزا من حياتهم، فجعلوا لها أياما يبكون فيها الحسن و ما حل به، ويضربون أنفسهم إيمانا منهم بمشاركته آلامه حين قتل، ولعل هذا عبارة عن نسق كان ومازال وسيبقى دائما في حياة الشيعة، قد يبدو للآخرين شيئا غريبا أو فعلا مجنونا لأن العبادة ليست بإيذاء النفس، إلا أن الشيعة تعني لهم مغزى خاصا لا يعرفه غيرهم. وصار هذا العزاء

[1] الرواية ، ص 280.

[2] الرواية ، ص 280.

يشمل كل من يعتنق المذهب الشيعي . فالحديث عن هذه الظاهرة علنا في الرواية يضمر سبب إعادة إحياءها عند الشيعة كل سنة.

في هذا تقول الكاتبة "...سينهضن من جلوسهن بأذرع رفعنها إلى السماء، ويمتلئ الفضاء بالأكمام السوداء، ويضبح بعبارات التكبير وصرخات "واحسيناه" إنها لحظة الحسم، التي يقطع فيها الرأس ويتدحرج، رأس حفيد الرسول عليه السلام، سيد شهداء الجنة الحسين ..."[1].

تقول الروائية أيضا "...عم إحياء العزاء وانتشر وصارت تتولى ريادته شابات متعلمات، وخرج الرجال عن التقليد القديم، وبدل الاكتفاء بالإصغاء إلى السيرة، صار جلد النفس ظاهرة ترافق الاحتفالية. ما يقام في العراق وإيران، بدأ يقام في جنوب لبنان وفي المناطق الشيعية الأخرى مئات الآلاف من الرجال سيجتمعون في عاشوراء لإحياء الذكرى..."[2].

من خلال ما سردته الكاتبة عن ظاهرة عاشوراء وما يصاحبها من إيذاء للنفس، شبان يلطمون ويجلدون صدورهم وظهورهم والدم يسيل. نساء يقمن بالنحيب وضرب صدورهن، يظهر أن لهذا العزاء أثر بالغ في نفوسهم. وأنهم يبلغون مرتبة من الإيمان حسب قولهم، فتعتبر هذه الطقوس ظاهرة اجتماعية، يعرفها كل من يعتنق الدين الشيعي، وترتبط ارتباطا وثيقا بهذا المذهب، كما تحمل في مضمونها دلالة ومغزى كبيرين لا يمكن فهمهما إلا بالبحث في أصول المذهب الشيعي والعادات السائدة لديهم .

ب_ تمثل الإسلام في مجتمع الرواية :

شغلت مسألة الطوائف في المجتمعات العربية القديمة حيزا كبيرا حيث أنه لا توجد منطقة إلا و احتوت على عدد من الطوائف، وفي هذه الرواية مذكرات امرأة شيعية، تناولت رجاء نعمة هذا الموضوع.

---

[1] الرواية، ص 281 .

[2] الرواية، ص 286 .

تبدأ الكاتبة الذكريات من أواسط القرن 19 حيث أن الجد الشيعي عبد الله نعمة يأوي في بيته في قرية حبوش في جنوب لبنان عددا من المسيحيين الفارين من الحروب الطائفية، حيث لجؤوا اليه للاحتماء به" لتاريخ آل نعمة شأن عائلات كثيرة، صلة بالطائفية والهجرات. فهو يرجع في الذاكرة القريبة إلى القرن التاسع عشر والعائلة التي تنشر حاليا في عدة بلدات من الجنوب، يرجع أصلها إلى بلدة حبوش، كان جد العائلة الشيخ عبد الله نعمة رجل دين وقورا يتمتع بمكانة مميزة بين الناس و لا يزال مزاره موجودا حتى اليوم في بلدة جباع التي جاءها إماما يقصده بعض المؤمنين التماسا للبركة ،كان إبان الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين الدروز* والمسيحيين في منتصف القرن المذكور، قد حمى بين العائلات المارونية الهاربة من المذابح، كانت أخبار تلك المذابح في جزين و حاصبيا ومرجعيون قد بلغت مسامع الناس ولكن لم يخبل لهذا الشيخ العاقل أنه سيكون عما قريب طرفا في أحداثها أو أن يأتيه هاربون منها طلبا للحماية".[1]

من خلال هذا المقتطف من الرواية يتبين أن نسق الطائفية وحرب الطوائف كان متناولا في الرواية فالجد عبد الله لم يكن يتوقع أنه سيدخل في حرب الطوائف بين المسيح والمارون، فصار في لحظة ما أنه أصبح منهم من خلال حمايته لبعض الفارين الذين استنجدوا به، باعتباره شيخا ذو سمعة حسنة ووقار وسط المدينة التي يسكن فيها. وبهذا فإن الرواية تناولت جانبا من جوانب الإسلام الطائفي.

تاريخ آل نعمة من خلال هذه الرواية كان له علاقة بالطوائف والسياسة والتيارات الفكرية و الثقافية بدءا من الجد الأكبر، إلا أن عائلة رجاء نعمة لا تعطي لهذا الموضوع أهمية كبيرة، ولا تتحدث عنه إلا نادرا، إلا أن رجاء نعمة كان تفكيرها غير ذلك ففي حديثها عن نفسها تقول: " كاتبة هذه المذكرات امرأة تشبه نساء كثيرات من جيلها في لبنان، عاشت

[1] الرواية، ص 29 .

*الدروز : يسمون أنفسهم الموحدون ، هم فئة عربية تدين بمذهب الوحيد ، تعود أصوله الى الإسماعيلية احدى المذاهب الإسلامية ، يؤمن الدروز بالشهادتين و القضاء و القدر و اليوم الآخر و يقدسون النبي شعيب الذي يعدونه المؤسس الروحي و النبي الرئيسي في مذهب التوحيد ، و المذهب التوحيدي قائم على تعاليم حمزة بن علي بن أحمد و الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله و الفلاسفة اليونانيين مثل أفلاطون و أرسطو .

السنوات الأولى من حياتها في المدينة التي ولدت فيها، تشربت طفولتها روح العدل وتبنت اليسار*رؤية والعروبة هوية لكنها ورثت أيضا التناقضات عن مدينتها المحافظة، ورثت ثورية سياسية لم تنقطع ، وقلما كان لها نظير وعن أسرتها التي تفوق المدينة المحافظة ورثت جرأة في التفكير، ومراسا في إعادة النظر في الأحكام المسبقة ".[1]

تقول الكاتبة أيضا"...ما تختار لنفسك لا يعني إنكارا لما اختاره لك تاريخك، فنحن اليساريين بالمعنى الثقافي أبناء مذاهبنا وسجلات النفوس التي قيدنا فيها تشهد على هذا وأنا كما مثيلاتي على رغم يساريتي، مسلمة من أب شيعي و أم شيعية والدال على هذا بحسب الألسنية الحديثة هو سيد الدلائل: الاسم ... لم يخيل لأبي أن الاسم الجميل الذي يموه الطائفة التي أنتمي إليها وبالنظر إلى ذلك التمويه، سيغدو خارج حدود مدينتنا مصدر إرباك لي وللآخرين و لاسيما أني من جيل لم يرتد الحجاب، كنت على الدوام وما أزال موضع إرباك لمن كان هاجسه معرفة الأصول".[2]

لم تسلم الروائية من الطائفية فالتاريخ الذي عاشت فيه شهد الكثير من التأرجحات والتغيرات كان له أثر في تبني هذه الكاتبة اليسارية مذهبا في الوقت الذي كان فيه المجتمع منشغلا بالانتماء الطائفي (يمين، يسار)،كذلك كان لتاريخ العائلة المعروف دورا في ذلك، بالإضافة إلى الاسم الذي اختاره والدها لها الذي كان سيدل فيما بعد إلى الطائفة التي تبنتها الكاتبة.

من خلال هذا نستطيع القول أن نسق الطوائف شغل حيزا في حياة الروائية فجميع ما عاشته الكاتبة شكل الطائفة التي تبنتها، وتعترف الكاتبة بهذا عندما سألتها صديقتها عن ديانتها، والطائفة التي تنتمي إليها تقول "...لا أدري لما خطر لي يومذاك أن أقول لها، ما

---

[1] الرواية، ص 165 .

[2] الرواية ، ص 168 .

*اليسار و اليسارية : هو تيار فكري و سياسي يسعى لتغيير المجتمع و المساواة بين أفراده ، يرجع أصل هذه الكلمة الى الثورة الفرنسية ، تبنى هذا التيار العدالة الاجتماعية و العلمانية في معظم دول الشرق الأوسط ، وترادف اليسارية العلمانية ، ويطالب بالديمقراطية في جميع مجالات الحياة .

قلت لعلني ذات يوم أكتب مذكراتي فتعثر فيها على الأجوبة الكثيرة التي تشغل بالها على أني لو كتبتها، فهل سأفعل لكوني مسلمة شيعية ؟ أم لكوني يسارية ...".[1]

في حديث الكاتبة عن الذكريات الماضية، تحدث عن العم وهبي فقد وقع في غرام فتاة قبطية*، كان وهبي شيعيا فيما كانت الفتاة مسيحية و بما أن أغراض الطائفة والدين لا تسمح بزواجهما، كما أنها مخطوبة لشخص آخر مسيحي، فهذه العلاقات تعتبر محرمة.

حاول وهبي الهروب مع بهية بنت السمعان، بما أنهما أعجبا ببعضهما وحبذت هذه الفتاة الزواج من شاب مسلم، على أن تتزوج من شيخ مسيحي. رسم وهبي خيوط هربه معها بمساعدة من صديقه، لكن سرعان ما انتشر هذا الخبر ووصل إلى الأصل.

والد وهبي عندما سمع بهذا الخبر ثار غضبه لأن هذه الفعلة ستجلب له العار طول حياته، إضافة إلى خجله من والد الفتاة وما سيحل بسمعة هذه العائلة لأنها كانت عائلة معروفة بحسن الأخلاق، هذا الهروب يمثل الخروج عن أعراف الطائفة كما سيشكل حربا بين طائفتين شيعة ومسيح " إنها المرة الأولى التي يرى فيها شابة تسير في الشارع مرتدية مثيلها: تنورة ضيقة الخصر طويلة واسعة الأطراف تنتهي بالدانتيل وياقة قميصها كانت من الدانتيل أيضا، كما أطراف الأكمام وعلى رأسها غطاء أبيض من التول المشغول، يخفي من شعرها البني البديع قدر ما يظهر. رأى كل هذا بملمح البصر لتنطبع الصورة النادرة في خياله، يا سبحان الخالق المصور لو كانت الملائكة من جنس الإناث، لكانت هذه المخلوقة التي تعبر الشرع من جنس الملائكة ".[2]

ثم تقول الكاتبة رجاء نعمة "ابنة مهاجر أعادها ذووها من الهجرة لتمضي بعض الوقت لدى عمتها، ريثما يجدون لها الزوج الملائم، للسترة حتما، يقول وهبي الفرص أمامها لم تكن كثيرة، على رغم حلاوتها وتمدها، لم تكن تملك الدوطة المطلوبة من فتاة مسيحية، كان

---

[1] الرواية، ص 11 ، 12 .

*قبطية : صورة مختصرة لكلمة " ايجبتوس " aygptos ، كلمة أطلقها البيزنطيون على أهل مصر شاعت هذه الكلمة عندما كانت مصر تحت الحكم البيزنطي ، و القبطية ليس لها علاقة بتحديد الدين فهي قومية و عرقية و مرادفة لكلمة مصريون ، و يقصد بهم اليوم المسيحيين من المصريين .

[2] الرواية ، ص 98 .

صديقه حنا سيساعدها على الهرب اتفقنا على كل شيء، استأجر وهبي غرفة في صيد المسكن مؤقتا..."[1].

حب الشاب وهبي المسلم للفتاة المسيحية بهية، لم يكن عابرا فقد كان سيغير حياة عائلة بأكملها، و حياة هذا الشاب بشكل خاص فنسق الطوائف والأعراف المضبوطة لا يمكن تجاوزها، غير درب العم وهبي إلى طريق لم تكن العائلة تتوقع.

ج _أنثوية الكاتبة وتجربتها الأدبية :

تناولت الكاتبة في هذه الرواية نظرتها الخاصة للجانب الديني وتأثيره على حياة المرأة بشكل خاص ودور الثقافة في هذا تقول "إن موقف الدين بوصفه وحيا منزلا وبوصفه دين الفطرة يعطي المرأة حقها الطبيعي، ولكن الثقافة بوصفها صناعة بشرية (ذكورية) تبخس المرأة حقها ذاك وتحيلها الى كائن ثقافي مستلب، وهذا ما يجعل تاريخ المرأة استشهادا طويلا كما تقول مي زيادة" والذي مارس وأد البنات في جاهليته، وفي عصرنا الراهن ظل يمارس الوأد الثقافي ضد الجنس المؤنث وترى بنت الشاطئ، أن مؤرخي الأدب قد تعمدوا طمس أدب المرأة العربية في عصورها الماضية، وأنهم قد ألقوا بآثارها في منطقة الظل ومارس عصر التدوين ورجاله بخس النساء حقوقهم، وهو ما تسميه بنت الشاطئ بمحنة الوأد العاطفي والاجتماعي".[2]

تعتبر رواية مذكرات امرأة شيعية تمثيلا حقيقيا وواقعيا لهذه الظاهرة، حيث أن المجتمعات العربية أعطت السلطة للرجل، وقد حاولت المرأة بشتى الطرق الخروج من هذه السلطة، فبعد التمازج الثقافي الكبير والازدهار الثقافي الذي عرفته بعض المجتمعات من خلال الاحتكاك بالدول الغربية، تخطت المرأة سلطة الرجل وتشظى المركز لتصبح المرأة والرجل متساويين في المجتمع، ولهذا " يلتبس مفهوم الآخر بالنسبة إلى المرأة الكاتبة كتوصيف مفهومي عرفي مختلف عن المرأة العادية، ذلك ان فلسفة الآخر تتجاوز محدداته المادية القائمة على اختلاف الجنس البشري (ذكر/أنثى)، فالمرأة الكاتبة تحاول أن تحدد وجودها من خلال

[1] الرواية ، ص 154 .

[2] عبد الله الغذامي، المرأة و اللغة ، ط 03 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2006 ، ص 16 ، 17 .

إخراج الإبداع إلى دائرة الجمال الذي لا فرق فيه بين الذكر والأنثى إلا بمقدار الابتكار، على هذا كان لابد أن تكون سيرة الكاتبة يوميات لعلاقتها بالآخر الذي تريد أن تبني – من خلال تصورها له – للقارئ وعيا به، إن الرهان الذي راهنته الكاتبة انقسم على مستوى القراءة إلى شقين: أحدهما ان القارئ صار يعرف مع من يتعامل، أو بالأحرى مع من يتفاعل قرائيا وهذا ينطبق على كل ما سيقرأ للكاتبة من نصوص، وثانيا: أنه وهو يرى نفسه في تلك اليوميات يستمر في رؤية نفسه في بقية النصوص..."[1]

النسوية التي تبين كيف أن المرأة حاربت بشتى الطرق ضد قواعد الآخر، وحاولت تمثيل هويتها من خلال بناء ذاتها وذلك عن طريق القوة و المقاومة، ومحاولة الخروج تدريجيا من نسق السلطة المفروضة عليها سابقا، فسعت المرأة إلى أن تجعل لها مكانة في المجتمع مثل الرجل.

يقول عبد الله الغذامي" إن توظيف المرأة للكتابة وممارستها للخطاب المكتوب بعد عمر مديد من الحكي والاقتصار على متعة الحكي وحدها، يعني أننا أمام نقلة نوعية في مسألة الإفصاح عن الأنثى، إذ لم يعد الرجل هو المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وصفاتها، كما فعل على مدى قرون متوالية. ولكن المرأة صارت تتكلم و تفصح وتشهر عن إفصاحها هذا بواسطة القلم هذا القلم الذي ظل مذكرا وظل أداة ذكورية. وحينما نترك المجال لصوت المرأة كي يتكلم ويعبر فإننا بهذا نضيف صوتا جديدا إلى اللغة، صوتا مختلفا. ونفتح بابا للنظر ظل مغلقا على مدى طويل وفي كل الثقافات...".[2]

و يقول أيضا" لقد كسبت المرأة أخيرا ودخلت إلى لغة الآخر واقتحمتها ورأت أسرارها وفكت شفراتها فتكلمت المرأة عن مأساتها الحضارية وأعلنت إدانتها للثقافة و الحضارة وبينت أن هذه الحضارة المزعومة ليست تحضرا أو تطورا فكريا، فالحضارة التي تقمع المرأة ليست حضارة كما تقول فرجينيا وولف".[3]

---

[1] - عادل بوديار، الأنساق الثقافية في الرواية السير– ذاتية النسوية (يوميات مطلقة لهيفاء بيطار) أنموذجا، ص 08.

[2] عبد الله الغذامي، المرأة و اللغة، ص 08.

[3] م ن، ص 09.

تحدثت الكاتبة عن تجربتها حيث أنها عاشت في بيئة شيعية وواكبت جميع التحولات التي عرفتها لبنان، كما نشأت في منطقة لها عادات وتقاليد محافظة عليها، وكل من يخالف شيئا منها يتعرض لعقوبات، فتحدثت الكاتبة عن فتيات كن في عمرها تعرضن لمثل هذه العقوبات ،كما تعرض الكاتبة ذكريات من حياتها ساهمت بشكل غير مباشر في خلق أديبة داخل نفسها. هذه الذكريات شكلت جزءا من طفولتها كما شبابها وسنعرض هذا فيما يلي.

عندما انتقلت رجاء نعمة إلى مدرسة الراهبات الداخلية في الأشرفية التقت بمجموعة من الفتيات، منهم (اسبيرانسا) هذه الفتاة التي تشتت عائلتها وأخذتها عمتها من أجل تربيتها عندما صارت في سن المراهقة دخلت في علاقة غرامية مع ابن عمتها، فكما هو معروف أنه في الأوساط المغلقة تقع مثل هذه العلاقات، هذه العلاقة بين (اسبيرانسا) و(ابن عمتها) تجاوزت المعقول لتصبح هذه الفتاة حاملا، فحاولت إيجاد حل لكن دون جدوى فقد حاولت الاتصال بابن عمتها الا أنها فشلت في ذلك، و لخوفها من العار ومن عقاب المجتمع لها قامت بوضع السم في السلطة وانتقلت إلى الرفيق الأعلى تقول كاتبة السيرة " في نهاية سبتمبر ونهاية الأحداث رجعنا، ابنة خالتي وأنا إلى المدرسة فرحين مشتاقين استقبلتنا الأخت ماري كلود، رافقتنا إلى الطبقة العلوية لنرتب أمتعتنا في الخزانات، رحنا نسأل عن الزميلات، هند؟ رجعت، زينب؟ سافرت إلى أهلها في ساحل العاج، عفاف؟ راحت إلى بيت جدتها في الجنوب، كاتيا؟ لم تغادر الدير، ولم تغادر لبنان، بسبب أحداث العراق و(اسبيرانسا)؟ طأطأت الأخت (ماري كلود) رأسها، صلي لها يا ابنتي، صلي لها... نعم يا ابنتي، التبس عليها الأمر، وبدل الزيت وضعت في السلطة "ديمول" غدا يصلى على جثمانها في كنيسة المدرسة..."."[1]

ثم تقول (رجاء نعمة) في إطار حديثها عن (اسبيرا) "... كان للصلاة هذه الليلة مغزى آخر. لكل طقس داخلي الليلة مغزى آخر، هذه الليلة وما سيليها سنصلي لن ترقص (اسبيرانسا) ولن نصفق لها .

سنصلي لها. هذا كل شيء .

[1] الرواية، ص 255 ، 256 .

أحاول النوم وبين الصحو والإغفاء وجدت نفسي أردد: سأكتب عن (اسبيرانسا). سأكتب عنها بالتأكيد كانت تلك المرة الأولى التي تخطر لي فيها فكرة الكتابة".[1]

إن حادث انتحار (اسبيرانسا) قد أثر على نفسية الكاتبة و ترك في دواخلها مكانة كبيرة، حيث أنه ساهم بشكل غير مباشر في تشكيل فكرة الكتابة لديها منذ الصغر، فما تخفيه هذه الحادثة كانت ستجعل من هذه الطفلة تكتب عنها بين طيات كتابها مذكرات امرأة شيعية، فكانت هذه الحادثة من التجارب الأولى التي عاشتها رجاء نعمة ودفعت في روحها حب الكتابة.

2_النسق الفكري:

كان للنشأة الأسرية والجو العائلي الذي ترعرعت فيه الروائية رجاء نعمة دور في تشكيل وبناء لبنات الكتابة لديها؛ فقد كان دماء العلم في هذه العائلة تسري في عروقهم بداء من جدهم الأكبر إلى أصغر شخص في العائلة، فقد كان الجد حسين أول من أرسل بناته للتعليم في المدرسة عند الأجانب، في ظل الانطواء الذي كانت تعيشه البلدة في تلك الفترة، فكانت ابنته ليلى عمة رجاء نعمة أول من خطت يداها في كتابة الرسائل فيما اقتصر تعليم البنات قديما على حفظ القرآن والأدعية فقط، فقد كان للتراث العائلي بهذا أثر على شخصية الكاتبة، فنسق العلم وحب المغامرة عمل على تشكيل فكر وشخصية رجاء نعمة.

كذلك كان للدروس التي تلقتها في المرحلة الإعدادية أهمية كبيرة كلها سواء من قريب أو بعيد دور في ذلك، فكل ما عاشته هذه الفتاة في صغرها سيكون مرآة عاكسة لها في تكوين شخصية أديبة وكاتبة. كما ساهمت في تشكيل وعيها وتجربتها.

تقول الروائية " في منتصف المرحلة الإعدادية، بدأنا دروس الفلسفة والآداب لم تكن هذه من منهاج المرحلة بالتأكيد، ولم يكن لها حيز في البرنامج اليومي على أن الأخت الرائعة (ماري كزافييه) عثرت على الوقت كما على المنهج، ففي الحصة اليومية المخصصة للتعليم

[1] الرواية ، ص 257 .

الديني التي كانت تجمع فيها دراسات الصفوف المتقدمة كانت تخصص الحيز الأكبر للفلسفة و الآداب، أو تعرض رؤيتها في ربط الدين بمقولات تلك اعرف نفسك بنفسك".[1]

تشبعت روح هذه الطالبة بمختلف المجالات في سنوات الدراسة الإعدادية من فلسفة وآداب، فرنسية، وتاريخ ، مسرح ،شعر، فكان هذا التشبع بمختلف العلوم نسقا مضمرا، عاد ليظهر في الفترات التي انتقلت فيها رجاء نعمة إلى فرنسا لإعداد أطروحة الدكتوراه، حيث اختارت فرع العلوم الإنسانية كما قامت بدراسة في مجال التاريخ والنقد الحديث والأدب، فالتعليم الذي تلقته في سنين تعليمها كان عبارة عن مفتاح لنجاحها في مجال الآداب والعلوم الإنسانية؛ فقد كان كل هذا مساهما في بناء شخصية هذه الكاتبة، بالإضافة إلى التعليم الذي تلقته وتاريخ العائلة، كانت الأم كذلك لها تأثير عليها، من خلال قوة شخصية هذه الأم فقد كانت ثورية وكانت أول امرأة تستبدل الإيشارب بالمونتو، حكايات الجدات الخرافية وغير الخرافية، كذلك الجلسات العائلية في الأعياد وتبادل المواضيع الأدبية من قصائد وأشعار قديمة وحديثة، تبادل الأحاديث أيضا حول الدين والشعائر الشيعية وتبادل الكتب، فقد كانت الأم ترتاد هذه المجالس وتكون هي رفيقتها مصغية إلى جميع هذه الأحاديث. فساهم هذا بشكل غير مباشر في تكوين شخصية أدبية مفعمة بالأفكار المختلفة و العلوم المتنوعة، كلها تشربت منها روح رجاء نعمة.

كما تعد التحولات التي عاشتها وواكبتها في ذلك العصر من العوامل المساهمة في كتابتها للمذكرات "...عشناها شأن الأجيال التي تولد وتحيا في زمن مغاير، وأنا أعتبر نفسي ابنة هذا العصر. كان عصرا خارقا برغم اضطراباته، رائعا برغم قسوته بهيجا برغم مآسيه، عصرا صاخبا ترك أثرا فريدا في التاريخ، تاريخ الأفراد، وتاريخ الشعوب الغربية منها والشرقية على أنه من غير المؤكد أنك ان عشت في عصر فريد كنت بالضرورة من صانعيه. منذ طفولتي ، كان لدي شغف بالذكريات ، على أني ما اهتممت مرة بتدوينها أو اعتماد

[1] الرواية ، ص 236 .

اليوميات شأن الكثير من هواة الكتابة فإيقاع الحياة وتقلب الأحداث وتواتر التغيرات كان أكثر حيوية وإثارة من أن يدعنا ننشغل بتسجيلها".[1]

فالتاريخ كان سيشكل بشكل من الأشكال بجميع تأرجحاته شخصية الكاتبة ويبني فكرها، ويساهم في بناء العقل لديها فيما بعد بكتابة المذكرات، فقد كان للأحداث الكبيرة التي عاشتها الكاتبة دور كبير في تشكيل فكرها وهويتها.

في السنوات الأولى من الجامعة (لرجاء نعمة) انشغلت بشراء الكتب والاطلاع أكثر من انشغالها بالملابس، والأمور الأخرى من خلال مطالعتها لكتاب سيمون دي بوفوار تأثير كبير على الروائية "مذكرات امرأة عاقلة" فقد أعجبت الكاتبة بهذه الثلاثية من كتاب سيمون دي بوفوار، تقول " في السنة الجامعية الأولى ، والحركات الثورية في أوج نهوضها كان عطشنا إلى المعرفة والاطلاع أقوى من أن يدعنا خارج ما ينشر و ينتشر في لبنان و أوروبا. كنا ننفق على شراء الكتب ما تنفقه الشابات المرتاحات البال على الملابس والماكياج نزلت إلى وسط المدينة، لأشتري من مكتبة أنطوان، وكانت تلك مرجعية الفرنكوفونيين، الكتاب الثاني من ثلاثية (سيمون دي بوفوار) كنت قرأت مذكرات امرأة عاقلة وتحمست لاستكمال رحلتي مع تلك الكاتبة التي ذاعت شهرتها في العالم".[2]

هذا الإعجاب بالكاتبة المشهورة عالميا كان أيضا من التجارب التي خاضتها الكاتبة رجاء نعمة خلال مزاولتها للجامعة، فهذا يخفي نسقا، أنتج فيما بعد رواية في نفس مصب رواية الكاتبة (سيمون)، فحبها لهذه الكاتبة وشغفها بكتاباتها جعل في نفسها حب الكتابة، وغرس فيها روح المطالعة والرغبة في الشهرة في مجال العلوم و الكتابة.

كذلك عند التحاق رجاء نعمة بالدراسة في فرنسا لإعداد مذكرة الدكتوراه كان للتعليم المكثف الذي تلقته والأبحاث الكبيرة التي قامت بها في العديد من المجالات منها: علم الدلالات، علوم السرد، التحليل النفسي النظري، دور بالغ في تسليط الضوء فيما بعد على

[1] الرواية، ص 12 ، 13 .

[2] الرواية، ص 235 .

كتابة مذكراتها. كذلك اطلاعها على مختلف الكتب و الكتاب أمثال (لاكان) ، (غريماس) ، (عباس محمود العقاد) ، (جاك بيرك) ...

تقول رجاء نعمة " قبل ذلك بسنوات في مرحلة الليسانس في بيروت، كنت قد وقعت على مؤلف للناقد عباس محمود العقاد تناول فيه قصائد الشاعر العباسي أبي نواس من زاوية التحليل النفسي، متحدثا عن ظاهرتين في شخصية ذاك الشاعر: التوثيق الذاتي، والاشتهاء الذاتي، أعجبت بالمؤلف وقرأته مرات. المؤلف قديم وسابق لانتشار مفاهيم المدرسة النقدية الحديثة التي تأسست في فرنسا في نهاية الأربعينيات على الأرجح أن العقاد قد تأثر (بفرويد) ، فكان سباقا على كثير من الأوربيين ورائدا في هذا الميدان".[1]

ثم تقول"... كنت أول دارسة عربية تعد الدكتوراه في تحليل النفسي للأدب وكان موضوعي أعمال المبدع الطيب صالح مركزية التعليم في فرنسا تطلب إلى الدارس أن يعالج النص الأدبي، شعرا كان أم نثرا، لا بلغة النص الذي يدرس، بل بلغة المركز الفرنسية".[2]

وفي حديثها عن الدراسة في فرنسا أيضا تقول" في تقاليد الكوليج دو فرانس يجري افتتاح العام الدراسي كما خاتمة الفصول، في المدرج الكبير (الأمفي تياتر) المخصص للمناسبات ذات الأهمية، محاضرات ذات شأن أو مناظرة بين كبيرين من الأساتذة، تليها نقاشات يسهم فيها الحاضرون، في واقع الأمر كنا نتحمس لمثل تلك المناظرات، ونحاول ألا نفوت على أنفسنا منها شيئا ولطالما كنا نسترجع المطارحات التي تبادلها الكبار فيها. كل ما حضرنا من مناظرات كان مثمرا و جديدا...".[3]

تجلت في الرواية العديد من العادات التي كانت تقوم بها الكاتبة من مطالعة، اجتهاد واطلاع على العلوم الأخرى ، التعليم المكثف الذي تلقته الروائية ، الأبحاث التي قامت بها ، التأثر العلمي ،كل هده العادات كان من شأنها أن تولد في المستقبل شخصية مشهورة، فما من مجتهد في العلم، الا وسطع نوره في مجال من العلوم، كذلك كانت رجاء نعمة فنسق العلم

[1] الرواية ،ص 298.
[2] الرواية ،ص302.
[3] الرواية ، ص 320.

والبحث كانا سيخرجان إلى هذا العالم امرأة مشهورة في الأدب والعلوم الانسانية ويجعل منها بذلك تكتب سيرة هذا العلم في مؤلف، يليق بمثل هذه المبدعة فقد كان للتجارب الأدبية التي عاشتها دور في بناء ذاتها و تشكيل شخصها.

3_النسق الاجتماعي:

استطاعت الرواية العربية المعاصرة أن تقيم لها مكانا محترما في الساحة الأدبية والفنية العربية، فمن بين هذه الروايات نجد رواية رجاء نعمة تحت عنوان _مذكرات امرأة شيعية_ التي تزخر بأنساق تكونت داخلها وتفاعلت ضمنها، انطلاقا من أن النص الروائي يتفاعل ؛ أي يؤثر ويتأثر في الآن نفسه بمجمل الأنساق الدينية والاجتماعية والسياسية التي توجد خارجه بوصفها أنساقا خارج نصية في أساسها.

إذن "فالنسق الاجتماعي مفهومه تكون أصلا بمعرفة ديفيد مريل وزملاءه ربما يعتبر النموذج الأكثر فائدة لمساعدة الناس في العمل على فهم أنفسهم وفهم الآخرين، والنسق الاجتماعي هو العام والدائم للسلوك في العلاقات بين الأفراد".[1]

تبدأ الروائية رجاء نعمة ذكرياتها ابتداء من الجد الأكبر للعائلة ما يجعلنا نعيش مع الكاتبة في جو روائي يزخر بالتحليل والوصف، نشأت "رجاء نعمة" في عائلة ومدينة على رغم الفروق والتباين بانسجام كبير من ناحية التأهيل الاجتماعي فهي عائلة محافظة على الحياء في السلوك العام، ترفض (النميمة، الإخلال بآداب بالكلام...). عائلة تعتبر كرامة الإنسان أعظم الثروات، عائلة تمتاز بالتقاليد العربية وإكرام الضيف.

يرجع أصلها إلى بلدة "حبوش" بمدينة "صور" التي تتكئ على إرث تاريخي حضاري تمتد جذوره إلى آلاف السنين التي تتفاعل مع محيطها ،ومع ما يجري في العالم كمدينة حية بداية من الانفتاح على العالم والخروج من عباءة التقاليد التي كانت تكبل المدينة حيث تبدأ من النساء باللواتي التحقن بالتعليم؛ فكانت عائلة رجاء نعمة أول عائلة تسمح للبنات بالتعلم و الالتحاق بالمدارس الأجنبية، الجد عبد الله نعمة هو أول من منح الفرصة لابنته

[1] روبرت بولتون، النسق الاجتماعي ونسق الادارة – تنمية علاقات عمل منتجة – ،ط1،تر : مُحَمَّد وحيد المنطاوي، مؤسسة رؤية للطباعة والنشر والتوزيع ، مدرسة ابن النفيس ، المعمورة ،2008،ص،13.

ليلى أن تلتحق بالمدرسة الانجليزية ، ولقد كان ابنه وهبي هو أول من فاتحا الجد عبد الله نعمة بإرسال أخواته ليلى وزهرة إلى المدرسة لتعلم الكتابة والقراءة والحساب "جدي، حين اقترح عليه وهبي إرسال البنات إلى المدرسة، راقت له الفكرة. نعم، فعائلة نعمة لها أصول في العلم ولها علماء".[1]

يطلب الجد من الجدة زهية بأن تسجل بناتها في المدرسة لتعلم القراءة والكتابة في مدرسة الإنجليز، مما أثار صدمة في سكان بلدة صور لأنه لأول مرة في ذلك الزمن تلتحق الفتيات إلى المدرسة خشية من تعليم أشياء أخرى غير القراءة والكتابة يتضح ذلك في قولها :" اتخذ جدي قراره وقال لجدتي" غدا تأخذين البنات وتسجليهن في مدرسة الانجليز"[2]وبعد سماع أهل المدينة بالخبر صاروا يحثون الجد حسين على سحب بناته من التعليم قبل فوات الأوان، " يا أخي حسين، تعليم البنات في المدرسة خطر. اسمع مني واسحب بناتك منها قبل فوات الأوان "[3]، وأن البنت لا يجوز أن تتعلم أكثر من قراءة القرآن أو الأدعية فإذا تمكنت من القراءة والكتابة، من الذي يمنعها من فعل علمها لغرض أشياء أخرى كالخروج عن الدين ومخالفة العادات والتقاليد، لكن الجد حسين عبد الله لم يرد عليهم وأجاب عليهم أن العلم مذكور في الحكم والقرآن والسنة وواجب علينا تعليمه " أطلبوا العلم ولو في الصين! العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ! أليس هذا حديث الرسول، ﷺ ؟!".[4]

رغم هذه المحاورات والمناقشات التي دارت بين أهل المدينة من اعتراضات حول تعلم البنات إلا أنها أدت في الأخير إلى السكوت عن هذا الأمر، وهذا راجع لنجاح ليلى في تعلم القراءة والكتابة والتخرج من المدرسة، لتثبت أنها ابنة عائلة تمتاز بأصول العلماء "عندما تخرجت ليلى من المدرسة، كانت قد أتقنت القراءة والكتابة:" بيت نعمة " هؤلاء ولدو والعلم

[1] الرواية، ص 59.
[2] الرواية، ص 59 .
[3] الرواية، ،ص 61.
[4] الرواية، ص 62.

في دمائهم ، يكفي أن يرسلوا ابنة أو ولدا الى المدرسة ، ولو لسنوات قليلة ، حتى يبرع في القراءة والكتابة".[1]

بعد هذا النجاح الذي حققته ليلى صار أهل مدينة صور يفتخرون بهذه الكاتبة وأصبحت الأمهات تستدعي ليلي لكتابة الرسائل لأبنائهم المهاجرين لأوطان أخرى، وتبين هذا في كتابة ليلى رسالة أحد الأمهات لابنها المهاجر إلى أرض السينغال بما تحمله الرسالة من شوق وحنين الأم لابنها الذي تأثر بها بعد قراءتها وقرر العودة إلى أمه الحبيبة ووطنه الغالي على قلبه، وغدا هذا مثالا يضرب بين أهل مدينة صور، "يقال إن المرسل إليه، الذي وطئ حديثا أرض السنغال، لفرط تأثره برسالة أمة، حمل نفسه ورجع ! وأقسم بعد ذلك على عدم السفر! وغدا مثالا يضرب به بين الناس".[2]

فقد كانت الكاتبة ليلى ذات شخصية قوية ومتميزة من بين بنات مدينة (صور)، موهبتها في بناء العلاقات الاجتماعية تضاهي موهبتها في كتابة الرسائل، لقد ورثت من عائلتها الحسّ النقدي الفكاهي ونجاحها سيجعلها مثالا يحتذى به في مدينة (صور)، رغم هذا ترى ليلى أنه لا جدوى من كتابة الرسائل مما تحمله من دموع وكلام فما هو الا حبر على ورق، فتبقى عودة الغائب هي وحدها التي يدركها الناس وهذا يذكرها بأخيها (وهبي) الذي هاجر بسبب حبه (لبهية بنت السمعان)، تتحسر على أخيها من هذا الحب، وتحمد الله على أنها لم تقع هي وأخواتها في مثل هذا الحب، واشتياق ليلى لأخيها يجعلها تبكي سرا على فراقه، "مثل الدرب الذي سار فيه أخوها وهبي وجعلها تلعن "الحب" والعشاق، وتحمد الله أنها هي أو أي من شقيقاتها لم، وبالتأكيد لن، يعترضنا بمثل هذه التجربة الرهيبة للتي دخلت فيها بهية بنت سمعان وأدخلت فيها وهبي، ليلى أيضا كانت في السر تبكي فراق أخيها الذي قد لا يعود".[3]

---

[1] الرواية، ص62.

[2] الرواية ،ص73.

[3] الرواية، ص 75.

تبين لنا من خلال سرد الروائية (رجاء نعمة) أن النسق الاجتماعي في هذه الرواية تجسد في حديث الكاتبة عن طبيعة التنشئة الاجتماعية التي تحظى بها العائلات العربية المسلمة في لبنان، فقد نشأت في كنف أسرة محافظة، لكنها تتمتع بذهنية منفتحة تتقيد بعادات وتقاليد أهل القرية، والواضح أن نموذج عائلة الكاتبة كان نموذجا مخالفا للسائد على مستوى تقبل بعض الأفكار التي تبدو حداثية مقارنة بما كان دارجا حينها، ومن ذلك ضرورة تعليم البنات، فقد كانت بناتها من أوائل المتعلمات في مدينة (صور)، فحققن نجاحا باهرا في تلك الفترة، وهذا ما أعطى المرأة في العائلة حريتها في الكتابة والتعليم في تلك الحقبة التي كان يعتقد فيها أن تعليم المرأة وامتلاكها القدرة على القراءة والكتابة يمكن أن يجردها من أنوثتها التقليدية، وبالتالي قد تخرج بتفكيرها الحداثي عن الدين والعرف الصحيح " وحينما تأتي المرأة أخيرا وتتسلل إلى إمبراطورية الرجل وتقتحم آخر وأهم قناع اللغة، وهي الكتابة، فإنها تثير فينا سؤالا تفرضه طبيعة الثقافة بوصف الثقافة احتكارا ذكوريا".[1]

فمسألة التعليم في المجتمعات العربية القديمة المتدينة، لم تكن قضية متعلقة في جذورها بالدين فعلا، أو بمشروعية التعليم بوصفه ضرورة حضارية أو اختلافا تقليديا، بل بكون التعليم النسوي يعدّ تعديا على حصن الذكورة، ويتهم (عبد الله الغذامي) المرأة بسلبها حقا لم يكن بالأساس لها، وهذا ما أدخلها في دوامة صعبة، مما جعل مهمتها في الكتابة تتحول من الدفاع عن الأنوثة إلى الترفع عنها ،"رغم أن الدين الإسلامي قد أعطى المرأة كثيرا من حقوقها التي كانت تحرم منها _ مثل حق اختيار شريك حياتها، وحق التعليم، والميراث والتملك وغير ذلك من مبادئ المساواة في القيم الإنسانية والمدنية المشتركة بين الرجل والمرأة، فإن هذه الحقوق كانت وما تزال _إلى حد ما_ شيئا والواقع شيئا آخر".[2]

بعد هذا تتحدث الكاتبة عن سفر بعض أفراد العائلة ممن كانوا رافضين سلطة الأب، أو من الباحثين عن الرزق في عالم جديد، كانت هذه العائلة تمتاز بصناعة التجارة، وكان (وهبي) ابن الجد (حسين نعمة) من أول المهاجرين إلى أمريكا هربا من حبه لفتاة من

[1] عبد الله مُحَمَّد الغذامي، المرأة واللغة ، ط 3، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، 2006 ، ص 160.

[2] الرشيد بو شعير، المرأة في أدب توفيق الحكيم ،ط1، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، سوريا، 1996 ، ص 9.

غير طائفته، فقد كان (وهبي) يتمتع بحسن الكلام وطلاقة اللسان وقوة التعبير، « منذ طفولته، كان وهبي يضيق بقسوة أبيه، الطاعة، في ذلك الزمن كانت سائدة، لا في دار جدي أو في مدينتها وحسب، بل في طول البلاد وعرضها ».[1]

لكن طبيعة (وهبي) وشخصيته الفريدة جعلته يكسر النسق الاجتماعي المنبني على الطاعة العمياء للأب، وهو ما جعل الأب ينظر إليه نظرة تقليدية يحكمها الطابع الاجتماعي العام ، فكان يبدو له عاقا وفاسدا مما جعله يعاني قسوة معاملة أبيه.

علاقة (وهبي) بأبيه- وقبل حكاية حبه (لبهية بنت السمعان)- بدأت تتدهور ؛لأن وهبي يعمل في الصيد والتجارة وينفق ماله على أشياء تافهة ويمضي أوقاته في الصيد مع شلة من أصدقائه، هذا ما أدى إلى حقد الجد على ابنه الذي تسبب في وقوع خلاف لم يتمكن أي احد منهما من تجاوزه فانتهيا إلى خصام وفراق، " كانت زهية خارج المنزل، ولما دخلت وجدت رجليها على هذه الحال القطيعة من التأهب: زوجها رافعا الحزام، وابنها حاملا كرسي الخيزران، يكاد ينقض به على أبيه، لرؤيتها، ابتعد كل منهما عن الآخر من دون أن تغادرهما نار الغضب»[2]

لكن القضية لم تكن بالفعل في أن (وهبي) كان عاقا لأبيه، بل لقد كان حرا في تفكيره تجاه نفسه و اتجاه الحياة ؛ هذا ما كان منافيا لما كان يسير عليه جميع الناس في مدينة (صور) ،كان وهبي صيادا محترما وقرر ترك المدرسة بحجة أنه يفضل التجارة ويلقب نفسه بشهبندر التجار(شيخ التجار).

لكن بالمقابل كانت عائلة (رجاء نعمة) أول عائلة تربح في التجارة، (فحسين نعمة) الذي سافر مع ابنه (حميد) إلى عكة من أجل التجارة؛ وحميد يعرف بأنه شاب طموح ونظيف اليد واللسان يتمتع بشخصية قوية، وعزيمة، وقد حقق نجاحا كبيرا في عالم التجارة، وصار الأب يفتخر بابنه، وأدرك أن النقود وحدها لا تكفي لكي يصبح بائعا، وإنما الثقة هي التي جعلته تاجرا محترفا (لثقة الأب بابنه)، هذا النموذج من الأبناء هو الذي كان مفضلا في

[1] الرواية، ص 49 .

[2] الرواية ، ص 55.

ذلك المجتمع، والدليل على ذلك أن الولد الذي لم يكن يعاند والده أو يتصرف بطريقة مخالفة لنمط التفكير والسلوك العام سواء في التجارة أو في طريقة الحياة والتعامل، كان هو المفضل والمحبوب، مع أن (وهبي) كان يمتلك ميزات جيدة ولو أنها مخالفة، ولولا شق الخلاف بينه وبين والده بسبب تعدّيه على النسق الاجتماعي السائد لحقق أيضا نجاحا باهرا ولاقى مكانة عند العائلة و المجتمع.

تريد الكاتبة إذا بإيرادها طبيعة الاختلاف الثقافي في طريقة التعامل الاجتماعي بين أهلها وأفراد مجتمعها من خلال عرض رؤيتهم العرفية للرجل وللمرأة في المجتمع، وأن تبين أنه لم يسلم أحدهما من التدمير بفعل القوة الاجتماعية السائدة، فالعرف الذي كان يمنع المرأة من التعليم، هو نفسه الذي كان يحدد قيمة الرجل من خلال انتمائه إلى القطيع، ولم تكن القضية قضية دين أو سلوك أخلاقي، بقدر ما كانت نوعا من الاستعباد الطبقي المنبني سلفا داخل الفكر الأبوي المسيطر.

4_ النسق السياسي:

إذا كانت الرواية مجموعة من التقنيات والأدوات الفنية والجمالية التي تسهم في إثراء التعبير الإنساني عن الأفكار والمشاعر، وعن تجارب الواقع والذات، فإن مصطلح السياسية يعني عند (دافيد استون) "مجموعة من التفاعلات التي من خلالها تتوزع السلطة وتتخذ القرارات الأساسية في أي مجتمع من المجتمعات... وهو بذلك يعدّ مجموعة من الأدوار السياسية التي يقوم بها الفاعلون في إطار بناء سياسي يحدد العلاقات بين الحكام والمحكومين. ولذا تبدو السياسة_ باعتبارها نسقا اجتماعيا_ عملية معقدة، تقوم على تصورات نظرية أكثر شمولا واتساعا من الفهم التقليدي لها، كما أنها لم تعد تهتم بقضية بعينها، وإنما اتسع إهابها ليتناول كل مكونات النسق السياسي..."[1]

وتشير الثقافة السياسية إلى تأثير السياسة على الثقافة وتأثير الثقافة على السياسة، وعلى نحو أكثر تحديدا، تشتمل الثقافة السياسية على القيم والمعتقدات والأفكار، "الثقافة

[1] جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي ،11 مارس 2008، htt ps: // pulpit,alwatan voice.com.

السياسية تشكلت من ناحية عن طريق الخبرة التاريخية العامة للمجتمع والنظام، ومن ناحية أخرى، صيغت وبشكل جاد من خلال الخبرات الشخصية والخاصة لهؤلاء الأفراد الذين سيصبحون نخبة المجتمع ثم من بعد ذلك يمثلون الجهاز الحكومي".[1]

من خلال هذين التعريفين نجد السياسة تجمع على عنصر القوة في الفعل السياسي باتخاذ القرارات، فهي تسعى إلى تحقيق مطالب الشعب، وهي كلمة ترادف تسيير الأمور، وتعمل على توزيع قوتها وبسط نفوذها.

الكاتبة (رجاء نعمة) خلال سرد مذكراتها في نص روائي يزخر بأنساق ثقافية واجتماعية وسياسية متداخلة. تبدأ رحلة الذكريات من أواسط القرن 19 حيث الجد (نعمة) الشيعي، يأوي في بيته في قرية حبوش في الجنوب اللبناني عددا من المسيحيين الهاربين من الحرب الطائفية بين الدروز والمسحيين، وإذ يخشى عليهم يرسلهم برفقة بعض أبنائه للجوء إلى مدينة (صور) حيث سيطيب المقام فيها للأبناء لتكون مدينتهم، " كان إبان الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين الدروز والمسيحيين في منتصف القرن المذكور، قد حمى لديه بعض العائلات المارونية الهاربة من المذابح، كانت أخبار تلك المذابح في جزين وحاصبيا ومرجعيون قد بلغت مسامع الناس. ولكن لم يخيل لهذا الشيخ العاقل أنه سيكون عما قريب، طرفا في أحداثها أو أن يأتيه هاربون منها طلبا للحماية "[2]

لقد اعتبرهم الجد ضيوفا وحاول أن يهجرهم إلى (صور) رفقة أبنائه خوفا من قطاع الطرق ليصلوا سالمين إلى (صور) لأنها كانت تمتاز بنمط حياة أكثر رفاهية، وفرص عمل أوسع من بلدة (حبوش).

[1] آثر آيزرابرجر، النقد الثقافي – تمهيد مبدئ للمفاهيم الرئيسية – ط01، تر وفاء ابراهيم ، رمضان بسطاويس، حقوق الترجمة والنشر بالعربية ، الجزيرة ، القاهرة ، مصر، 2003، ص 113.

[2] الرواية ، ص 29.

نعيش مع الكاتبة في جو روائي بدايته الاحتلال العثماني إلى السفر (برلك)، بعد رحلة حميد إلى عكا والنجاح الذي حققه في عالم التجارة سافر إلى (برلك) "الذاهب إليها مفقود والعائد مولود".[1]

تروي لنا رحلة الروائية رحلة حميد إلى سفر (برلك)، والتحاقه بالعسكرية هو وأصدقاءه منهم (مالك بن الحكيم توفيق) لكنه فر من العسكرية بمساعدة من رجال (نصري)، وفي عودته إلى بلدته (صور) علمت أمه (زهية) ففرحت وتزينت من أجل ابنها العائد، ويبدو النسق السياسي هنا متعلقا بحالة الهيمنة العثمانية على البلاد العربية، وكيف كان الشباب العرب يجندون في صفوف جيشها بينما لم يكونوا في الحقيقة يرغبون في ذلك لأنهم لا يشعرون بالانتماء، وقد كان بعضهم يموت في حرب ليست حربه وبعضهم كان يفر إذا سنحت الفرصة وسانده الحظ ليبقى حيا.

تحدثنا (رجاء نعمة) عن رحلة (حميد) بعد عودته من سفر (برلك) إلى (مرسيليا) متجها إلى (نيويورك) وصولا إلى (أمريكا) لاحقا بأخيه (وهبي)، وبينها كانت الباخرة في الدرب من (بيروت) إلى (مرسيليا)، كانت السفينة الأمريكية (دوللي) قد حملت المسافرين، وقد كان من بينهم (وهبي نعمة) ومنذ صعوده إلى الباخرة تعرّف على معاون القبطان الذي يدعى (ماركو).

حاول (وهبي) أن يسافر إلى (باريس) في القطار، إذ التقى بأخيه حميد الذي لحق به فارا، بعد مرور أسابيع من الإبحار، وصلت الباخرة إلى ميناء (نيويورك)، وقد كان (حميد) يعمل دهانا مثل أبيه (حسين) الذي كان يعمل في صناعة المراكب، فهو يحب البحر والإبحار أيضا " اسمي حميد نعمة، سوري من بلاد تركيا، أنا أعمل دهانا مثل أبي، ومن هو أبوك ؟ حسين نعمة، يعمل في صناعة المراكب، وقد علمني صيانتها ودهان جوانبها، وأحببت المهنة، فانا أحب البحار والإبحار".[2]

[1] الرواية، 87.

[2] الرواية ،ص 132.

تبدأ الكاتبة رحلتها السردية من حقبة الاحتلال العثماني إلى غاية سفر (حميد نعمة) إلى (سفر برلك) والتحاقه بالثكنة العسكرية وفراره منها ملتحقا بأخيه (وهبي)، هنا تقف الروائية في مذكراتها عند المحطات الكبرى في تاريخ عائلتها ومدينتها، ووطنها وعروبتها، إذ تورد جانبا من نضال الجنوبيين ضد الحكم العثماني، إلى مقاومتهم الاستعمار الغربي، إلى الهجرة نحو العالم الجديد (من خلال شخصيتين وهبي وحميد نعمة) إلى كسر بعض التقاليد الانتمائية والانخراط في الأحزاب اليسارية.

بعد هذه الرحلة تستعيد الكاتبة ذكرياتها لتروي لنا تبادلات الحياة وتغيراتها وقسوتها، ابتداء من القسوة الاجتماعية الناجمة عن العادات والتقاليد (السالفة الذكر)، وصولا إلى القسوة السياسية جراء الاحتلال الذي لم يلبث أن نفض (لبنان) غباره حتى عاد إليه بصيغة أكثر وحشية، عند دخول (إسرائيل) إليه ، بعدما كان الحاضن الأول للنازحين الفلسطينيين.

(لبنان) هو بلد التنوع الثقافي والسياسي الذي كان يزخر آنذاك بالحراك الفكري، ويغلب الأحزاب القومية والعروبة والاشتراكية والعلمانية، وحيث تلاشى التمييز على أساس الانتماء الطائفي لمصلحة التمييز الأيديولوجي (يمين، يسار) تذكر الكاتبة في الجزء المعنون بأزمان وألوان قائلة: "كاتبة هذه المذكرات، امرأة تشبه نساء كثيرات من جيلها في لبنان. عاشت السنوات الأولى من حياتها في المدينة التي ولدت فيها، تشربت منذ طفولتها روح العدل، وتبنت اليسار رؤية والعروبة هوية. لكنها ورثت أيضا التناقضات: عن مدينتها المحافظة ورثت ثورية سياسية لم تنقطع، وقل ما كان لها نظير. وعن أسرتها التي تفوق المدينة محافظة، ورثت جرأة في التفكير، ومراسا في إعادة النظر في الأحكام المسبقة".[1]

وأيضا قولها: "كانت مدن لبنان تعيش ازدواجية حضارية بصورة طبيعية، سأكتشف أن مدن الساحل التي يبدو ظاهرها متفرنجا هي في حقيقة الأمر شديدة المحافظة، أنت في منطقة حافظت زمنا طويلا على أوضاعها الثقافية والاجتماعية، ثم بعيد عقدين من القرن

[1] الرواية ، ص 165 .

العشرين، عصفت بها التغيرات، انهارت السلطنة التي حكمتها أربعة قرون ونصف، وجاءها استعمار غربي انتدابا هنا واحتلالا هناك".[1]

عاشت (رجاء نعمة) تحت أحضان بحر (صور) لتبدأ رحلة ذكرياتها من خلال تغيرات الحياة فيها، ابتداء من القسوة الاجتماعية وصولا إلى القسوة السياسية التي كان أهم ما فيها؛ احتلال (إسرائيل) (لبنان)، لكنها إذ تقدم موقفها السياسي ضمن النسق العام للبلد في أتون الحروب المتعاقبة والثورات الممتدة عبر الزمن تقول إنها قد تبنت العروبة هوية واليسار رؤية، وهو موقف يجمع بين التحضر الفكري والانتماء للجذور الأصيلة، فالموقف اليساري يبين أن شعلة الثورة كانت كامنة في عروقها مثل بقية أفراد أسرتها الصغيرة من جهة، ومثل أبناء بلدتها الذين لم يتوقفوا عن الثورة ضد كل الاستعمارات من جهة أخرى، أما عروبتها فهي تشكيل حضاري مختلف، كان لا بد أن يتسلح بالعرف وبالدين الذي نشأت عليه حتى لا تحيد بتصوراتها إلى ما يقلب الفكر الثوري إلى ما لا يجب أن يكون عليه، فالواضح أن رفض (إسرائيل) في لبنان كان تقريبا اختيارا شيعيا ثابتا، يمكن أن يمثل له (بحزب الله) كطرف سياسي ثوري له تاريخه ضد الصهاينة، وبما أن الكاتبة (شيعية) فلا بد أن تلك السمة –التي تعدّ طائفية في نظر البعض–هي التي منحتها الانتماء العروبي المغلف باليسارية، وهذا ما جعلها تجمع في ثوريتها بين التمرد على الاحتلال وبين التمسك بالجذور العربية دينا وأصلا.

كذلك تناولت الكاتبة الحديث عن الحرب التي شهدتها مدينة لبنان تقول "...الحرب في لبنان على قدم و ساق وجاء مقتل زعيم المعارضة كمال جنبلاط انذارا بفترة ظلامية نعرف أنها بدأت، ولا أحد يتكهن متى ستنتهي ، كان هذا السياسي الفذ الذي تمكن من جمع الأطراف والنقائض ، متصوفا أصيلا صلبا ورجل سياسة لا يقل عن الآخر صلابة ، كان يقتدي بغاندي .لو كان لبنان هو الهند لتابع دور معلمه الجليل في نشر السلام في العالم، ولكن رغم عبقريته السياسية لم يخطر له أنه سيقتل لعدم الامثال ، السلطات ذات الشأن في المنطقة، قررت التخلص منه وبعد مقتله بدأت الحرب الأهلية تطحن أبناءها بلا رحمة، معارك بين الدروز والمسيحيين بين مسلمين ومسيحيين. بين مسيحيين ومسيحيين بين

[1] الرواية ،ص 166.

مسلمين ومسلمين ،معارك في كل مكان، المدافع تنصب في الأحياء وعلى الشرفات، مسلحو الميليشات يعبثون بالأمن، الاغتيالات على قدم وساق، وضربات اسرائيلية على جنوب لبنان ،الصواريخ تنهمر يكتفي "الخبراء" بضغط الأزرار لتتساقط هذه على المدينتين، وتصيب كثيرين ..."[1]

تناول هذا المقطع التمازج الثقافي في الرواية حيث أن الكاتبة في سردها لمذكراتها تناولت جانبا مهما وهو التاريخ ، التاريخ الذي يحمل في ثناياه أحداثا مهمة عن مدن شهدت أحداثا عظيمة لابد و أن يكون لها مكان في الكتب لتخلد تاريخها ، وهذا ما فعلته رجاء نعمة حيث جعلت من هذه الرواية تخليدا لهذه التواريخ ومن هذه التواريخ المهمة ، الحرب التي شهدتها لبنان، فالحضور النسقي للتاريخ في هذه الرواية جعل منها تمازجا تاريخيا نسقيا في نص رائع.

وقد تحدثت الكاتبة بإسهاب عن الاحداث السياسية التي عرفتها منطقة لبنان " رسميا ، دامت الحرب بين الفصائل اليهودية يدعمهم الانجليز وبين الجيوش العربية، سبعة أيام يقال: كانت على الصعيد العسكري قد حسمت سلفا ، فاللعبة العسكرية بين الجيش الإنجليزي وزعماء الصهاينة، رتبت منذ وعد بلفور لطرد سكان البلاد من وطنهم الى غير رجعة لوقت طويل ، بعد الاحتلال ،كان الإعلام الغربي يزعم جهلا أو استغباء ..."[2]

لقد جعلت الكاتبة من هذه الرواية نسقا سياسيا تاريخيا ، فبالإضافة الى أنها تحدثت عن لبنان و الحروب التي شهدتها ، فقد أشارت الى تلك المنطقة المستعمرة منذ آلاف السنين ولم تنسى أن تذكر بعض أبطالها الذين ناضلوا في سبيل وطنهم وماتوا شهداء ، تقول في هذا الصدد "...سريعا سيتحول الغضب الى عمل وتنهض حركات وأحزاب قومية ويسارية تطالب بتحرير فلسطين ،بل بتحرير البلدان العربية بأسرها من الاستعمار. حركات ستكسر جدار الحريم وتدعو الشابات كما الشبان للمشاركة.

[1] الرواية، ص 304.

[2] الرواية ، ص 266.

وغدت جميلة بوحيرد نموذجا وصارت أغنية "أخي جاوز الظالمون المدى، فحق الجهاد وحق الفدا " الأشهر للتعبير عن واقع الحال .الحركات الناهضة ربطت مطالبها باسترجاع فلسطين وإعادة الشعب المطرود الى وطنه، حزب البعث الذي كان متدينا علمانيا قبل أن يتسلم مقاليده العسكر، وتصادره الأنظمة الاستبدادية الحزب القومي السوري ، حركة القوميين العرب وكان أخي من مؤسسيها في صور..."[1]

يظهر النسق السياسي في هذه الرواية حيث أن الكاتبة انتقلت من سرد الأحداث الى المزج النسقي السياسي فالاستعمار الفلسطيني زرع في نفوس المواطنين الرغبة في الثورة على الإسرائيليين وتحرير فلسطين. " كما الحاجة فردوس سيبكي كل عربي نكبة فلسطين يقال دار المنادي في الأحياء يستغيث ، فيما يعلن النبأ المذهل الذي لن يلبث أن يطير على كل شفة ولسان .نبأ سيستقر في وجدان كل عربي حتى آخر العمر :الصهاينة طردوا الفلسطينيين من فلسطين ،ليجلبوا اليها اليهود من أمريكا و أوروبا: "يا أهالي صور يا أخوة العرب يا أصحاب الشهامة والكرامة، هبوا لمساعدة أهلنا الهاربين من فلسطين".[2]

قضية فلسطين هذه القضية السياسية التي لا تزال على حالها الى يومنا هذا ،أثرت على قلوب العرب فجعلتهم يرغبون في تحرير هذا البلد العربي الشقق ، اضافة الى تقديم المساندات الى شعبها ، ومساعدة اللاجئين من فلسطين ." في تلك الحقبة المتأججة نادرا ما كان الناس يهجسون بأن هذا مسيحي وذاك يساري هذا قومي وذاك شيوعي ،هذا ليبرالي وذلك محافظ في أوساط النضال ، جورج و مُحَّد وميشال وأمثالهم...لهم ينادون بسقوط اسرائيل و الأنظمة المهانة لها. سنجد في صفوف هذه الأحزاب شبانا يهودا، لبنانيين، سوريين أو من أصول اخرى ،يعترضون على قيام دولة تتحدث باسمهم ، ويشتغل شعبها لخدمة القوى الكبرى، بذريعة قومية وهمية لا تعدو كونها صورة للنازية تحمل اسما آخر، سينخرط الآلاف في صفوف الاحزاب و الحركات التي كل منها تحمل رايتها، وجميعها تحمل راية فلسطين...".[3]

---

[1] الرواية، ص269.

[2] الرواية، ص 259.

[3] الرواية ،ص 270،271..

شغلت قضية فلسطين اللبنانيين بشكل كبير على غيرهم من العرب أيضا ويظهر هذا في الرواية ، ففلسطين دولة عربية تسري دمائها في جسد كل عربي، وهذا النسق السياسي أضمر المكانة الكبيرة لفلسطين في جميع دول العالم ،فكل من يرى المآسي التي تشهدها فلسطين يأمل أن يكون من محرريها .

أ_ المرأة والنسق الديني:

تتميز الشخصيات النسائية التي تعرضها (رجاء نعمة) في هذه الرواية بصلابتها وتمردها، نساء مدينتها الجنوبية اللواتي كنّ يتدثرن بالسواد من الرأس حتى الكاحل، هنّ اللواتي تجرأنا على السير في شوارع صور العريضة (كاشفات في عز النهار)، وبعدما كانت تمنع الفتيات من دخول المدرسة وإكمال تعليمهن خوفا من المكاتبة (مراسلة العشاق)، ومع بداية الستينات من القرن الماضي اختفى الحجاب أو كاد (وفق تعبير الكاتبة) وصارت «الغلالة» (الزي الأسود القديم) مجرد ذكرى تصادفها في صور الأرشيف؛ فاستبدلت الشابات الإيشارب بالميني جوب، والكم الطويل بالجابونيز.

تقول الكاتبة:" خيل لنا أن ما حدث كان بلا رجعة ".[1]

فقد صدمت بعد رجوعها إلى وطنها بأن الفتيات عدن إلى ما كن عليه قبل عشرين عاما، علما بأن حجابهن أخذ شكلا آخرا؛ بمعنى أنه لم يعد عرفا أخلاقيا واجتماعيا بقدر ما أصبح رمزا سياسيا نتج عن انخراط النساء في الحياة العامة وفي النضال السياسي في صفوف أحزاب إسلامية _شيعية قاومت اسرائيل.

فهذه الشخصيات على صورة عصرها ثقافيا وسياسيا، على صورة ما نتج عن كبرى محطاته: نكبة فلسطين التي ضربت نفس كل عربي في الصميم ، حتى الحاجة فردوس و الخرافات التي كانت تحكيها ، لم تبك في أي من حكاياتها إلا حينما روت كيف طرد «اليهود» الفلسطينيين، حركات التمرد والتغيير كلها قامت على أكتاف فلسطين، على أن لجنوب لبنان، ولمدينة صور تحديدا خصوصية بالنسبة إلى هذه القضية، فهي أول حضن نزح

[1] الرواية، ص 203.

إليه المهاجرون وفتحت لهم فيها البيوت ثم تعايش الجنوبيين والفلسطينيين واندمجوا معا في حضن جديدة، الحضن الثوري حضن الأحزاب القومية واليسارية، ثم يتحول حديث الكاتبة الأهم ضمن نسق السياسة المتعلق بالدين، (أو بالأحرى بالطوائف) من خلال حديثها عن الصراع (السني/الشيعي) "قابعة في تلك الكنبة، قصت علينا حكايات كثيرة كلها من الخوارق. على أن واحدة منها ستبدو كأنها حدث من الواقع، قصته علينا فيما هي تبكي وتشهق! وختمته بالدعاء للمظلومين في الأرض، والاقتصاص من الظالمين: قصة أهل فلسطين... وكيف قتل اليهود شبابهم واحتلوا بلادهم وطردوهم منها"[1].

وأيضا من الصراعات التي كانت بين السنة والشيعة التي رويت على لسان الحاجة فردوس الاحتلال الصهيوني على فلسطين وطردهم من أراضيهم جاء هذا في الرواية :" كما الحاجة فردوس، سيبكي كل عربي نكبة فلسطين ، يقال دار المنادي في الأحياء يستغيث، فيما هو يعلن النبأ المذهل الذي لن يلبث أن يطير على كل شفة ولسان، نبأ يستقر في وجدان كل عربي حتى آخر العمر: الصهاينة طردوا الفلسطينيين من فلسطين، ليجلبوا إليها من أميركا وأوروبا :" يا أهالي صور، يا أخوة العرب، يا أصحاب الشهامة والكرامة، هبو لمساعدة أهلنا الهاربين من فلسطين "![2]

ومن الصراعات أيضا نجد هموم فلسطين ومآسي ما بعد النكبة والحرب التي دامت سبعة أيام بين العرب واليهود، والجرح النازف من قبل 1948 ربما إلى العام الذي شهد وعد بلفور قولها: " دامت الحرب بين الفصائل اليهودية بدعمهم الإنجليز وبين الجيوش العربية، سبعة أيام، يقال كانت على الصعيد العسكري قد حسمت سلفا، فاللعبة العسكرية بين الجيش الإنجليزي وزعماء الصهاينة، رتبت منذ وعد بلفور لطرد سكان البلاد من وطنهم إلى غير رجعة، لوقت طويل، بعد الاحتلال".[3]

---

[1] الرواية ص، 215- 216.

[2] الرواية، ص 266.

[3] الرواية ،ص 266.

رغم احتلال الصهيوني لفلسطين وطرد أهاليها واحتلالهم القدس إلا أن الشعب الفلسطيني خرجوا صامدين في وجه المحتل الإسرائيلي، رجال ونساء عجائز ومراهقون مستقبلين إخوانهم المنكوبين.

انخرطت المرأة في تلك الحقبة في صراعات الأفكار، فكسرت ضمن حالة من الثورية والتحضر أنساق الثقافة السائدة واستبدلتها بمظاهر ثقافات بديلة، فتمردت على الحجاب تارة بنزعه تماما، وتارة بجعله رمزا للانتماء الحزبي المناهض للغزو الصهيوني (الحجاب الشيعي)، غير أن هذا لم يكن مجرد خروج عن طبيعة الأعراف وطبيعة التكوين الاجتماعي والديني إنما كان أيضا حالة من التقدم نحو فلسفة فكرية عالمية كانت المرأة فيها قد وصلت إلى بعض مطالبها، فانخرطت المرأة في (لبنان) بفعل هذه التغيرات الطارئة في الحياة العامة، وفي الأحزاب السياسية الإسلامية واليسارية، وهو ما أعطاها حريتها ومساواتها مع الرجل في الحقوق والواجبات « فالمدرسة الإسلامية يجيزون للمرأة جميع الحقوق السياسية، فيرون لنا حق الجهاد العسكري على النحو الكافي... وهكذا بينوا أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها وقرر لها كل الاختصاصات... فأعلنوا نفورهم من اشتغال المرأة بالسياسية لا لعدم أهليتها لذلك،بل لأن المجتمع لم يتهيأ بعد لمزاولتها لحقوقها السياسية "[1]

ترصد الكاتبة هنا عجز الدراسات والدارسين الأوروبيين لمجتمعاتنا عن فهمها فهما صحيحا، تورد مثلا المستشرق الفرنسي (جاك بيرك)، وأنه كان يتعامل باستعلاء الفاهمين على تبشير الشاب ا(أبي الحسن بني صدر) بقيام ثورة (إيران)، ليتفاجأ (بيرك) بعد عام واحد بأن (بني صدر) الذي لم يفهم مجتمعه الإيراني! قد أصبح أول رئيس لجمهورية الثورة الإيرانية " جلس جاك بيرك على المنبر العالي يقرأ فصلا من مجلة تصدرها جامعة الأزهر في القاهرة، يتحدث بتاريخ مصر الحديث انتهت المحاضرة وبدأ النقاش، وطلب بني صدر الكلام جاك

[1] خديجة عبد الهادي، موقع المرأة في النظام السياسي الاسلامي ، ط1،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، 2011، ص 135،136.

بيرك أعطاه الفرصة". وقال بني صدر ما أثار استغراب الحاضرين واستياء المعلم:" النظام السياسي في إيران على حافة الانهيار. وسيتغير على يد التيار الإسلامي..."[1]

وتقول أيضا: "ذلك اليوم، لم يخطر لأي من الحاضرين أنه بعد مرور أقل من سنة سيصبح المهتم «يجهل أحوال بلاده» أول رئيس ، لأول جمهورية إسلامية في العصر الحديث".[2]

تبين الكاتبة أن هناك علاقة بين الطائفية والسياسة من جهة، وأن حجاب المرأة بشكلها الواضح في الجمهورية الإيرانية، والذي ينسحب على الشيعة في لبنان؛ في جزئها المعنون "نهايات مؤقتة عن عودة الحجاب بعد ما تلاشت لفترة من الزمن، مع اختلافات جوهرية لمضمون الحجاب الجديد" بالقول: " ليس لعودة الحجاب الذي خلعته « المرأة الجديدة » مغزى واحد « ايشارب » اليوم دال كثيف المعاني، رمز خرجت به النساء في الجنوب، هاتفة وجه المحتل الإسرائيلي: الله أكبر. وعودته تعبر بامتياز عن المأزق الحضاري السياسي الذي يعصف بالبلاد، فيجعلها محددة في قيمتها وثقافتها. وكيانها، مشهد الأزياء اليوم يحاكي المشهد السياسي لحد بعيد، هكذا، دول الأقطاب تصدر العري ودول الأطراف تصدر الحجاب".[3]

نستنتج هنا أن الكاتبة تتحدث عن تطور الحجاب من طبقات الحجاب المسمى بالتركي الايشارب إلى خلع الحجاب والتمرد عليه كرمز على استعادة المرأة قدراتها، فهو لا يشكل ذلك القيد على لابسته، القيد الذي كان عائقا للأمهات، بل اختير عن طواعيته وأصبح رمزا للهوية .

تجمع رجاء نعمة روايتها بين السرد يعني السيرة الذاتية والتاريخ؛ لأنها حكت على تاريخ لبنان أكثر من حياتها الخاصة وعن المراحل السياسية والاجتماعية التي عاشتها لبنان، وهذا الواقع السياسي والاجتماعي هو الذي أخرج المرأة في ذلك الزمن من التقوقع وأصبحت

---

[1] الرواية، ص320.

[2] الرواية، ،ص 322.

[3] الرواية، ص 325.

المرأة معروفة ولها الحق في المشاركة في الأحزاب اليسارية والنضال السياسي ،وبذلك منحت المرأة حقوقها التي سلبت منها كحق الكتابة "بدأت المرأة العربية الكتابة الفعلية مع بداية النهضة في أواخر القرن التاسع عشر، فمارست مستويات الإبداع كافة، وإن كانت المسألة اتخذت مسلكية التطور البطيء والمحدودة في الفترة الممتدة بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل الستينيات من القرن العشرين، حيث برزت أسماء نسوية رائدة حذرة بذرت ثقافة نسوية مهمة، دعت إلى تعليم المرأة ورفض واقعها الحريمي، ومهاجمة بعض القيم النسوية كالحجاب ونظام الحريم، والمطالبة بالحرية، والخروج إلى العمل، وتولي الوظائف العامة، والمشاركة في السياسة..."[1]

تختم الكاتبة ذكرياتها عن الطفل عبد الله الفلسطيني الذي يضيع من أهله خلال الهجرة ولا يتذكر إلا اسم مصطفى عمه الذي قتله اليهود، فينشأ مع أسرة أرمينية هاجرت من فلسطين وأصبح مصطفى الأرميني، ويعود إلى عائلته بعد ثلاثين عاما، ثم تشد الكاتبة إلى نهاية كل حي والتي يشهدها الناس ولا يشهدها هو وهكذا...

نستنتج من خلال ما سبق أن الروائية رجاء نعمة قد أبدعت في هذه الرواية فقد مزجت بين التاريخ والسيرة الذاتية، وهذا ما جعل من هذه الرواية مجالا خصبا تتوارى خلفه الكثير من الأنساق الثقافية، خاصة أن الكاتبة لم تتحدث عن حياتها فقط، بل إنها بدأت سرد الأحداث بإسهاب انطلاقا من القرن 19، من الجد إلى الحفيد، حيث أن روح الكاتبة تشربت من عائلتها العلم والبداهة، فكان لكل حدث عاشته منذ نعومة أظافرها تأثير على حياتها بشكل عام، فقد كانت الطقوس مساهمة في تشكل فكرة الدين و الطائفة التي تنتمي إليها، والمذهب الذي تبنته الذي أخذت لبنته تتشكل في شبابها وهذا كله راجع للظروف السياسية والدينية التي عاشتها، كما كان للظروف التي عاشتها لبنان عموما تأثير كذلك على مسارها، كما كان للتنشئة الأسرية والتعليمية دور في تحديد مسارها العلمي تباين هذا خلال النسق الفكري، كما تناولنا في النسق الاجتماعي كفاح المرأة ضد العادات والتقاليد والمجتمع، حيث حاربت المرأة هذه العادات وسلطة الرجل، وجعلت من نفسها قدوة في المجتمع للمرأة

[1] حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والابداع ،ط1،عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن ، 2008، ص 73.

المتحررة المثقفة التي خرجت من قيود الرجل وسلطته، حيث تحررت المرأة من نسق المجتمع الذي فرض عليها أمورا منها ما يرتبط بالدين ومنها ما ورثه الجنسين من المجتمع وقد تناولت الكاتبة رجاء نعمة، هذا النسق ابتداء من عمتها ثم أخواتها وأمها وهن اللواتي تحررن من المجتمع وبرعن في عدة مجالات كالكتابة، كما حالفهن الحظ ليكن قدوة لأهل المدينة التي يقطنون فيها، تحدثت الروائية أيضا عن الظروف السياسية التي عاشتها منطقة لبنان، والتي ساهمت بشكل غير مباشر في تشكيل تاريخ عظيم لهذه المنطقة، فكان للنسق السياسي دور كبير في تشكيل تمازج ثقافي في ذهن الكاتبة ويعيد الظهور في هذه الرواية.

وقد تجلت هذه الأنساق كلها من نسق ديني وفكري، سياسي واجتماعي من خلال التمازج الثقافي الذي استخدمته الكاتبة في هذه الرواية، فقد تلاعبت الأنساق الثقافية فيما بينها لتشكل لنا بنية لغوية جمالية لعب فيها النسق المضمر دور التورية خلف النسق المضمر، وقد استنبطنا البعض من هذه الأنساق ولا نقول كلها لنصل إلى تكوين صورة عامة لحياة الكاتبة؛ وهي حياة المرأة الشيعية في لبنان لأزمان طويلة.

خاتمة

خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة الكشف عن الأنساق المضمرة (النسق الديني، الفكري، الاجتماعي، والسياسي) في رواية مذكرات امرأة شيعية لرجاء نعمة، من خلال البحث عن هذه الأنساق

وفي ختام بحثنا قمنا برصد أهم النتائج التي توصلنا إليها أثناء الدراسة:

ـ رواية مذكرات امرأة شيعية لرجاء نعمة بنية لغوية تحمل تمازجا ثقافيا يحمل في جعبته العديد من الأنساق المضمرة المختلفة.

ـ تعتبر هذه الرواية عملا جماليا يحمل ثقافة تسود فيها التجاذبات. كما تعتبر عملا أدبيا جماليا تناول الأنساق الثقافية بشكل كبير، من نسق ديني، وفكري ،سياسي اجتماعي.

ـ إن السيرة الذاتية عمل سردي يجمع بين الإمتاع والإخبار تتناول حياة كاتبة ويبقى الصدق فيها نسبيا.

ـ تتداخل السيرة الذاتية مع الأجناس الأدبية أخرى كاليوميات،والمذكرات والاعترافات.

ـ الأنساق المضمرة ارتبطت بعدة مفاهيم (النسق، الرواية، الثقافة، السيرة الذاتية).

ـ انطلق النقد الثقافي من فكرة النسق ويقصد به كل ما كان على نظام واحد، أما النسق الثقافي فهو مجموعة من القيم المرتبطة ببعضها البعض، والمتوارية خلف النصوص والخطابات والممارسات الثقافية.

ـ من الأنساق المضمرة التي تم الكشف عنها في مذكرات امرأة شيعية النسق الديني، النسق الاجتماعي والنسق السياسي.

ـ النسق الديني تمثل في تلاشي ظاهرة الحجاب والخروج في وجه المحتل الاسرائيلي والعقائد الدينية التي تمتاز بها مدينة صور.

ـ النسق الفكري تناول التنشئة العلمية و التعلمية و مسارها العلمي.

ـ النسق الاجتماعي تمثل في العادات والتقاليد التي تتميز بها مدينة صور وخروج المرأة من ظاهرة الجهل وإعطائها الحق في تعليم الكتابة .

ـ وأخيرا النسق السياسي حيث منحت للمرأة المشاركة في الأحزاب اليسارية والنضال السياسي.

ـ تمثل هذه الرواية نسقا ثقافيا بامتياز وذلك لما تحمله من أنساق ثقافية مختلفة تلاعبت في النص لتجعل منه بنية جمالية.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (برواية ورش)

المصادر::

1) رجاء نعمة، مذكرات امرأة شيعية، ط 01، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2013.

المراجع:

أ_ الكتب العربية:

1) إحسان عباس، فن السيرة، ط 01، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996.
2) أنس غسان الشيخ الخفاجي، السيرة الذاتية، مركز الضيافة الدولية للتدريب السياحي والفندقي، دمشق، سوريا.
3) بكر بن عبد الله أبو زيد، العلماء الذين ترجموا لأنفسهم (السيرة الذاتية)، ط01 ، مطابع دار الهلال لأوفست، الرياض، المملكة العربية السعودية.
4) تهاني عبد الفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ط 01، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2002 .
5) التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1996.
6) حاتم الصكر، كتابة الذات دراسات وقائعية الشعر ، ط01، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1994 .
7) حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع ،ط1، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، 2008.
8) حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، مصر، .1964
9) خديجة عبد الهادي، موقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي ، ط1،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت، لبنان، 2011 .

10) الرشيد بو شعير، المرأة في أدب توفيق الحكيم ،ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، سوريا، 1996 .

11) شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرى الآتي ، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين ، ط 01 ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 1992.

12) عبد الرحمان عبد الحميد علي :النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، د ط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2005،

13) عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية ، ط01 ، القاهرة ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، 1998.

14) عبد الفتاح أحمد يوسف، القراءة النسقية (سلطة البنية ووهم المحايثة)، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.

15) عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009.

16) عبد الله الغذامي، المرأة واللغة ، ط 3، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، .2006

17) عبد الله الغذامي، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ط 03، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، بيروت ، 2005 .

18) عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ط01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004.

19) عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، ط02، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2011.

20) فايزة أنور شكري، القيم الأخلاقية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر، 2011 .

21) مُحَمَّد بوعزة، الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج ، ط01 ، دار الحرف للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء، المغرب، 2007 ،

22) مُحَمَّد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ط 01، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، الرباط، المغرب.

23) يحي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان.

24) يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1990.

ب_ الكتب المترجمة:

1) آثر آيزرابرجر، النقد الثقافي – تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية – ط01، تر وفاء ابراهيم ، رمضان بسطاويس، حقوق الترجمة والنشر بالعربية، الجزيرة، القاهرة، مصر، 2003.

2) إديث كريزويل، عصر البنيوية من لفي ستراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط 01، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993.

3) روبرت بولتون، النسق الاجتماعي ونسق الإدارة – تنمية علاقات عمل منتجة – ، ط1،تر: مُحَمَّد وحيد المنطاوي، مؤسسة رؤية للطباعة والنشر والتوزيع، مدرسة ابن النفيس، المعمورة، 2008.

4) روجر آلن، الرواية العربية، تر: حصة ابراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

5) زيودين ساردار، بورين فان لون: الدراسات الثقافية، تر: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2003 .

6) فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994.

7) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط 04، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ، 1984.

المجلات :

1) فضيل حضري، مستويات الدين و أشكال التدين ، مجلة الواحات و البحوث و الدراسات ، المركز الجامعي ، غرداية، الجزائر، العدد 14 ، 2001 .

2) مجلة النص، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، العدد06، المجلد: 03، 2017.

3) مجلة الواحات والبحوث والدراسات، المركز الجامعي غرداية، الجزائر، العدد 14، 2001.

المقالات:

1) عادل بوديار، الأنساق الثقافية في الرواية السير– ذاتية النسوية (يوميات مطلقة لهيفاء بيطار) أنموذجا، (مقال)، مجلة النص، العدد: 06، المجلد: 03، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2017.

المعاجم والقواميس :

1) ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ط 01، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين / التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، .1998

2) ابن منظور، لسان العرب، ط01، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.

3) بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1997 .

4) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط01 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1979.

5) الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ، ط01 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003.

6) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط 01 ، دار النهار للنشر ، لبنان ، 2002.

الرسائل الجامعية:

1) قماري يامنة :النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي ،قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ،الجزائر ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، 2013.

المواقع الإلكترونية:

1) htt ps: // pulpit ,alwatan voice.com.

2) جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي ،11 مارس 2008، htt ps: // pulpit ,alwatan voice.com.

فهرست

الموضوعات

مقدمة.....أ_ ت

1_ الفصل الأول: السيرة الذاتية والرواية والنقد الثقافي (المفاهيم اللغوية الاصطلاحية وتطور المعنى) .

_مفهوم السيرة .....5_6

_مفهوم السيرة الذاتية.....7_8

_مفهوم السير ة الغيرية.....8_9

_نشأة السيرة الذاتية.....9_11

_أشهر السير العربية.....21

_الفرق بين الترجمة والسيرة.....12_15

_أنواع السيرة الذاتية.....15_17

_ السيرة الذاتية والأنواع القريبة منها :

_السيرة الذاتية والتاريخ.....17_19

_السيرة الذاتية والمذكرات واليوميات..... 19_21

_السيرة الذاتية والرواية.....20_21

_السيرة الذاتية والاعترافات.....21_22

_مفهوم الرواية 23

_مفهوم الرواية السير ذاتية .....23_24

_مفهوم النقد (لغة واصطلاحا).....24_26

_مفهوم الثقافة (لغة واصطلاحا).....27_29

_مفهوم النقد الثقافي .....33_29

2_ الفصل الثاني: الأنساق المضمرة في رواية مذكرات امرأة شيعية:

_تمهيد 35

_ النسق (لغة واصطلاحا).....39_36

_ مفهوم المضمر (لغة).....39

_ مفهوم الأنساق المضمرة.....41_40

3_ الأنساق المضمرة في الرواية:

_ النسق الديني.....42_41

أ_ الأعراف الاجتماعية وعلاقتها بالدين .....52_42

ب_ تمثل الاسلام في مجتمع الرواية.....56_52

ج_ أنثوية الكتابة وتجربتها الأدبية .....59_56

_ النسق الفكري.....63_59

_ النسق الاجتماعي.....68_63

_ النسق السياسي.....73_68

أ_ المرأة والنسق الديني.....79_74

_خاتمة.....82_80

_ قائمة المصادر والمراجع .....88_34

_ فهرست الموضوعات.....91_89